رحلة ابن فضلان
الأيديولوجيا والتخليط[1]

♦ شاكر لعيبي[*]

هل ثمة من مجازفة وإفراط في القول إن ثقافتنا العربية، في اللحظة الراهنة، قليلة التدقيق والملاحظة، وبعضها قائم على الإشاعة إذا لم نقل الأكذوبة؟ يصلح الضجيج غير المُدقّق والاستعادة الحماسية لما قيل بشأن رحلة ابن فضلان أن يكون دليلاً لإجابة مقلقة على السؤال أعلاه.

يتوجب في البدء إعادة الاعتبار، بتواضع جمّ، للعملين الذين قام بهما أحمد وليدي زكي طوغان بنشره مخطوطة مشهد في مدينة لايبزخ عام1939، وتحقيق د. سامي الدهان لها بمقدمته التأسيسية عربياً عام 1960، بصفتهما العملين الجوهريين في التعريف بالرحلة السابقين على كل عمل آخر. بعد هذين العملين الأساسيين فإن جميع البحوث والتحقيقات والإحالات مدينة لهما بالكثير، وسيكون من قلة الإنصاف المرور عليهما على عجل أو التنكّر لهما.

(1) هنا البحث هو تطوير للورقة المُقدَّمة في «ندوة الرحالة العرب والمسلمين اكتشاف الذات والآخر» التي انعقدت في الرباط تحت عنوان «الرحلة العربية في ألف عام»، واستمرت من 22 إلى 25 حزيران عام 2009 ونُشرت في « أوروبا في مرايا الرحالين العرب؛ المعرفة، الحداثة، الآخر، المجلد1».

(*) باحث من العراق.

يكون من المفيد هنا استعادة الكيفية التي اكتشفتْ بها مخطوطة مشهد والجهود الروسية والأوربية في طباعة الرحلة. ففي عام 1215م وقعتْ نسخة من الرحلة بين يدي ياقوت الحموي في مدينة مرو، نقل عنها في معجمه مقتطفات كثيرة. عام 1814 طبع المشـتشرق الدانماركي راسموسـن Rasmussen جـزءَ الرحلة الموجود في معجـم ياقوت ونشرها في بحث معنون:

«On the Commercial Intercourse of the Arabs and Persians with the Eussians and Scandinavians in the Middle Ages» وطبعت في حوليـات (Molbeck›s Athene) لعام 1814. لكـن الترجمـة كانـت تعاني مـن أخطـاء قادمة جزئيـا من شروط المخطوطة المنقوصة. لكي يقوم المسـتشرق فران C. M. Frähn[2] بطبعة نقدية، قبل اكتشـاف مخطوطة الرحلة، في دراسـته التي تستند على ياقوت المعنونة

«Ibn-Fozlan›s und anderer Araber Berichte tiber die Bussens alterer Zeiten»[3] وقـام بطباعـة نقـولات ياقـوت باللغة الروسـية (سـانت بطبرسـبورغ 1823). ترجمت النسـخة الدانماركيـة من نقـل ياقوت إلى اللغة السـويدية مـن طرف جاكـوب أدليـبرث Jakob Adlerbeth وطُبعتْ بالإنكليزية في مجلة: «Blackwood›s Edinburgh Magazine». ثـم تُرجمتْ من الإنكليزية للفرنسـية في المجلة الآسيوية[4][5]

(2) Christian Martin Joachim Frähn.

(3) Ch. M. Fraehn. Die ältesten arabischen Nachrichten über die Wolga-Bulgaren aus Ibn-Foszlan›s Reiseberichte. – «Memoires de L›Academie Imper. des Sciences.», VI serie, 1823.

(4) يذكر ناشـر مجلة دارسـي العَادِيَات الأسكتلندية أنّ نشر المقتطفات هذه في المجلة المذكورة لا يبدو صحيحاً.

(5) Journal Asiatique, vols. iv. and vi., 1824.

عام 1824-1825. عام «Journal Asiatique» كتاباً عن ابنC.A. Holmboe 1869 نشر هولمبوه فضلان بالدانماركيـة انطلاقا دائما من ياقوت[6] . عام 1873 نشر جوزيف أندرسون مقالته: وصف ابـن فضلان[7]، عن ياقوت أيضاً وهي منشـورة في المجلد التاسع من «حوليات جمعية دارسيْ العَادِيَات الأسكتلندية»(Proceedings of the Society of Antiquaries of Scotland. (Volume 9.1870-72 لعام 1870-1872

ويمكن الاطلاع على نسخة منها على النيت. عام 1934 نشر تشاريز ويديCharis Waddy ترجمة لبعض المقتطفات من ياقوت المتعلقة بإحراق جثث الموتى في العالم الإسـكندنافي تحت عنوان «طقوس حرق الجثث الإسكندنافية» (آذار/مارس 1934،

(6) Ibn-Fozlân, om noriske Begravelsesskikke, fra det Arabiske oversat og med Unmaerk ninger oplyst / C.A. Holmboe. 1869.

(7) Joseph Anderson: DESCRIPTION BY AHMED IBN-FOZLAN (AN EYE-WITNESS) OF THE CEREMONIES ATTENDING THE INCREMATION OF THE DEAD BODY OF A NORSE CHIEF, WRITTEN IN THE EARLY PART OF THE TENTH CENTURY. TANSLATED FROM HOLMBOE›S DANISH VERSION OF THE ARABIC ORIGINAL, WITH NOTES ON THE ORIGIN OF CREMATION, AND ITS CONTINUANCE. BY JOSEPH ANDERSON, KEEPER OF THE MUSEUM. in Proceedings of the Society of Antiquaries of Scotland, Edinburgh 1873, Vol ix, Part ii, s 518-31.

يبدو لي أن تاريخ النشر الصحيح للمجلة هو 1872 وليس 1873 أعلاه. نحتفظ بنسخة على هيئة بي دي أف pdf من بحث جوزيف أندرسن.

58 صفحة)[8]. اكتشف وليد طوغان المخطوطة عام 1923 في متحف أستان قدس (Astane Quds Museum) في مدينة مشهد الإيرانية، وهي تحمل الرقم (MS 5229) ويُؤرخ لها بالقرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري)، وتتضمن 420صفحة (210 ورقة). وإلى جوار رسائل جغرافيين آخرين تحتوي المخطوطة على نص شبه كامل لابن فضلان (من صفحة 390 إلى الصفحة 420). وإذن فالرحلة تقع في نهاية المخطوط الذي يبدو أن هناك ورقة أو ورقتين تنقصانه. عام 1935قامت حكومة إيران بتسليم نسخة من مخطوطة مشهد التي اكتشفها طوغان الى أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي. عام 1939نشر طوغان في لايبزك ترجمته الألمانية للرحلة[9] . عام 1939 قامت أكاديمية العلوم السوفياتية بترجمتها باشراف المستشرق كراتشوفسكي
(Ignatij Julianovič
Kračkovskij1951-1883) Kratchkovsky
تحت عنوان «ابن فضلان، رحلة إلى الفولغا»[10]

(8) Charis Waddy; ‹A Scandinavian Cremation Ceremony› in Antiquity, March 1934, pp. 58.

(9)Ibn Fadläns: Reisebericht, ed, A. Zeki Validi Togan, Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes XXIV, 3 (Leipzig 1939),

(10) لا أستطيع الجزم بأن هذه الطبعة هي من ترجمة كراتشوفسكي نفسه أم تحت إشرافه فقط. العمل منشور بالروسية بوصفه عملاً لكراتشوفسكي:
Putešestvie Ibn-Fadlana na Volgu / perevod i kommentarij pod redakciej I. Ju. Kračkovskogo. Moskva : Nauka, 1939.
وهو ما تذهب إليه البحوث المنشورة مثل عمل السويدية الكسندرا سانمارك، بالإنكليزية:
Sanmark, Alexandra. Power and Conversion - a Comparative Study of Christianization in Scandinavia. Ed. Editor: Svante Norr 2004.

(موسكو ولينينغراد 1939). من ثم عُثر على مقاطع منها لدى الكاتبين الفارسيين نجيب الهمداني (القرن الثاني عشر الميلادي) وأحمد أمين الرازي (القرن السادس عشر) ممّا لا يتضمنه متن مخطوطة مشهد. عام 1956 نشر كوفالفسكي A.P.Kovalevsky ترجمة روسية جديدة من الرحلة قائمة على مخطوطة مشهد ومقتطفات ياقوت والهمداني والرازي تحت العنوان «كتاب أحمد بن فضلان حول رحلته إلى الفولغا في 921-922م» (خاركوف 1956)[11]، وتحتوي على الصور الفوتوغرافية لمخطوط مشهد. بعد ذلك توالت الطبعات في اللغات الأوربية جميعها. إن طبعة (ارتياد الآفاق) التي قمنا بها مدينة لطوغان وللدهان في المقام الأول، ونثبت ذلك هنا منعاً لأي التباس. هناك نسخة من طبعة طوغان في المجمّع الثقافي في أبو ظبي هي دراسة وتحقيق وترجمة لمخطوطة مشهد اليتيمة. وهناك أكثر من طبعة أصلية لتحقيق سامي الدهان الذي قام بفحص المخطوطة على خير وجه وتحقيقها وفق الشروط العلمية في تحقيق المخطوطات، فلا مزيد على عمله بغياب نسخة أخرى إلا لجهة التعمق فيها وفي شرح النص وإضاءته من جهة، ومن جهة أخرى العثور على مؤلفين تراثيين آخرين غير ياقوت الحموي قاموا بالاستشهاد بالرحلة مثل القزويني في كتابة (آثار البلاد وأخبار العباد)، وبثلاثة مواضع من كتابه. في مقدمتنا للطبعة المذكورة قمنا بفحصٍ موسَّع للوهم الجلل الذي سقط به، عن حسن نية في الغالب وحماس أيديولوجيّ، د. حيدر محمد غيبة.

(11) A. P. Kovalevskij. : Kniga Achmeda Ibn-Fadlana o ego putesestvii na Volgu v 921-922 gg, 1956.
Публикация по изданию: Крачковский А.П. Книга Ахмеда Ибн-Фадлана о его путешествии на Волгу в 921-922 гг. Изд. Харьковского Государственного университета, Харьков, 1956, с. 141

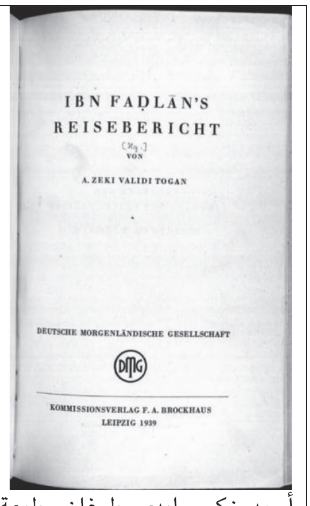

أحمد زكي وليدي طوغان، طبعة لايبزك عام ١٩٣٩:

Ibn Fadlān's Reisebericht/ von A. Zeki Validi Togan. - Leipzig : Brockhaus, 1939. - XXXIV, 336 s., 23 bl. - (Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes; 24:3(

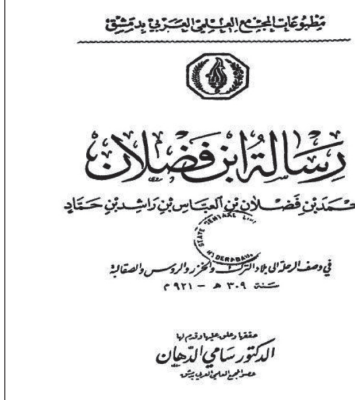

طبعة مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق تحقيق الدكتور سامي الدهان عضو المجمع . طبع بالمطبعة الهاشمية يوم الأربعاء 6 ذي الحجة 1376هـ الموافق لـ 1 حزيران (يونيو) 1960.

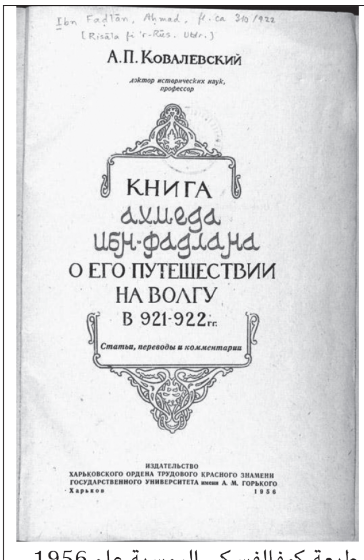

طبعة كوفالفسكي الروسية عام 1956.

A. P. Kovalevskij. : Kniga Achmeda Ibn-Fadlana o ego putesestvii na Volgu v 921-922 gg, 1956

تبدو طبعة غيبة أكبر أهمية من طبعة أحمد عبد السلام البقالي السابقة التي اعتبرت أيضاً عمل كرايتون مرجعاً تاريخياً، بسبب تأثير ترجمة د. غيبة على مجموعة كبيرة من المثقفين والأكاديميين العرب، وبسبب أن الطبعات الأخرى لم تحقق الانتشار الذي حققته طبعة غيبة لأنها طُبعتْ لدى ناشرين في المملكة العربية السعودية لا يهتمون إلا بالسوق المحلي.

طُبعتْ نشرة دار السويدي (ارتياد الآفاق) عام 2003، وبعدها ظهرت العديد من المقالات والتعليقات التي إما أنها لم تطلع على الطبعة رغم أنها وزعت عن طريق ناشرها المشترك المؤسسة العربية للدراسات للنشر، فظلت تلك التعليقات تعاود بالحماس الأيديولوجي ما قاله د. حيدر غيبة، وإما أنها اطلعتْ على الطبعة فتنكّرتْ لها وعَزَتْ أوهام غيبة لنفسها أو لكاتب مجهول الهوية كما سنرى. وفي الحالتين كليهما ثمة درسان موضوعيان صارا منهاجاً لبعض الثقافة العربية: اكتفاء بعض مثقفيها الذاتي وانغلاقهم على معارفهم، والثاني مرتبط بمشرق العالم العربي خاصةً: النكران الصريح أو المتخفي لمنجزات الآخرين، عجماً وعرباً، والتستر عليها بل السعي لإطفائها، ليس على مستوى أدب الرحلة ولكن أيضاً في حقول أخرى كالشعر والبحث العلمي والترجمة، وقد خبرنا جميعاً ذلك كله عن كثب بأمثلة واضحة. نسجِّل هنا وإنْ بثمن مجازفةٍ معرفيةٍ أن الفارق الحالي في البحث الأدبي والتراثي والشعري بين مشرق عالمنا ومغربه يقع في اختلاف

المنهجيات وطرق التحليل وإشـهار الأمانة غالباً في النقل، وبالكثير من الود في القلوب[12] .

لنستبق الأمر ولنقل أن ما يعقـّد أمر مناقشتنا للأوهام والتخليط الذي وقع فيه العديدون، هو أننا نحن أنفسـنا قمنا بقراءة ونشر رحلة ابن فضلان، فنحـن إذن معنيـون بهـا، وبعض النقـود طالتنا والأخريات حاولت، تجاوز الطبعة وتناسيها. ولنقل كما قال أسـلافنا بما معناه أن المؤلف لا يسلم من الذم، وأن من يعرض بضاعته أمام الناس عليه أن يتوقع القدح والمدح. إن ظواهر العزوف عن القراءة ونسـبة أعمال الآخرين للـذات والسرعة في تعاطي المعطيـات والمعلومات وحضور «ثقافة الإشـاعة» والتضخيـم الأيديولوجي ذا الأصـول القومانية أو الدينيـة أكبر مـن أن تكون حالات شـخصية لأنها تطال شريحة واسـعة من الثقافة العربية، وهو ما تقـدّم عليه طريقة تعاطي رحلة ابن فضلان دليلاً كافياً، مريراً.

الكتابات – الإشاعة عن ابن فضلان

إن اسـتعراضاً صبوراً لما قيلَ عربياً عن تحقيق الرحلة ونُسَـخِها يقـدِّم أدلة على حالـةِ اضطرابٍ ليسـت صحية ذات أصـولٍ أيديولوجيـة، بدءً من أوهام د. حيدر محمد غيبة[13]، ومَنْ تابعه بشـأن العمل الروائـي الخيالي للروائي الأمريكي ميكائيل كرايتون (أكلة الأمـوات: مخطوط ابن فضلان عن خبرته بأهل الشمال في عام 229 ميلادية)[14]، مروراً بتعقيبات أحمد أبو مطر المنشورة بحلقتين في موقع إيـلاف الإلكتروني- مـا زالت في موقـع وكيبيديا- تحت عنوان (ابن فضلان في بـلاد الصقالبة) التي تابع فيها غيبة والدهان مؤكداً بحماس على خرافة الجهد النرويجي في المسألة. يقول:

«إن العدد الكبير والمختلف والمتناقِض للأصول التي نقلت أجزاء عديدة من مخطوطة رسـالة ابن فضلان من مصادر مختلفـة بلغات عديدة جعلت ميتشـل كريتـون يقـول: «مهمة تحقيـق الصيغ والتراجم الكثيرة آنفة الذكر، التي يمتد تاريخها إلي أبعد من ألف سـنة، والتي ظهرت باللغات العربية واللاتينيـة والالمانيـة والفرنسـية والدنماركيـة والسـويدية والإنجليزية، عمل بالـغ الصعوبة، ولا يحـاول القيام بهذه المهمة، إلا شـخص علي جانب عظيـم من المعرفة والطاقة، وقـد قام بها مثل هذا الشـخص عام 1951م وهو بيير فراوس الأسـتاذ المتقاعـد الحائز عـلي لقب الشرف لـلأدب المقارن في جامعـة أوسـلو بالنرويج، الذي قـام بجمع كل المصـادر المعروفة، وبدأ مهمـة الترجمة الضخمة، التي اسـتغرقت حتى مماته في عـام 1957م. وقد نـشرت أجزاء مـن ترجمتـه في صحائـف متحف أوسلو الوطني خلال عامي 1959 ـ 1960م)».

مثنيـاً بعدئـذ عـلى طبعـة غيبة. ثـم تعليقات إضافية وتصحيحات من أبو مطر نفسـه بمناسبة رسـالة وصلـت إليه مـن الكاتب «محمد الأسـعد يصحّح خطأ جسيماً في طبعة عربية لمخطوطة ابن فضلان» منشورة في 6آذار (مارس) 2006. وفيها يذكر أبو مطر الآن أنـه اعتمد على الطبعة العربية

(12) يمكن قراءة بعض ما كُتب عن ابن فضلان في المغرب العربـي عبر عمل بوشـعيب السـاوري (الرحلة والنسـق: دراسـة في إنتاج النص الرحلي، رحلة ابن فضلان نموذجاً)، دار الثقافـة، الـدار البيضـاء 2007، وشـعيب حليفـي (الرحلات العربية، النص وخطاب الهوية)، دراسـة ضمن مجلة ألـف، الجامعـة الأمريكيـة بالقاهـرة، مصر.محور العدد: شهوة الترحال: أدب الرحلة، العدد 26. 2006. وفي الجزائر عبر أطروحة الخامسـة علاوي (العجائبية في أدب الرحلات)، منشـورات جامعة منتوري، قسـنطينة 2006، وغير ذلك.

(13) رسـالة ابن فضلان: مبعوث الخليفة العباسي المقتدر إلي بـلاد الصقالبـة، عـن رحلتـه إلي بـلاد الـترك والخزر والصقالبة والروس واسكندنافيا في القرن العاشر الميلادي، جمع وترجمة وتقديم الدكتـور حيدر محمد غيبة، الشركة العالمية للكتاب ش م ل مع آخرين، سوريا 1994.

(14) Michael Crichton: Eaters of The Dead, The Manuscript of Inb Fadlan Relating His Experiences With The North Men In A.D. 922. Ed. Alfred A. Knopf, Inc 1976.

الاسم يُلفظ بالإنكليزية كرايتون kraIten وليس ريكتون كما كتبنا في طبعة السويدي.

التي حققها المرحوم الدكتور سامي الدهان ويعزو إلى محمد الأسعد تصحيح واكتشاف «الخطأ الجسيم». يعاود الأسعد، ببساطة، قول ما قيل من قبل عام 2003[15] في مقدمتنا للرحلة (المُعاد نشرها في جريدة الزمان اللندنية بحلقتين يوم 20-10-2003 واليوم التالي له بعنوان «ابن فضلان مقدمة عن رحلته وملاحظات عن دارسيه»)، أي قبل كتابة أبو مطر لدراسته بثلاثة أعوام وقبل تعقيبات ورسائل جميع من عقب على مقالاته بلا استثناء. يذكر أبو مطر مشكوراً، في نهاية تعقيبه فقط، طبعة (ارتياد الآفاق) وملاحظاتنا المستعادة بأساليب مختلفة بأقلام من كتب له ثم ينصح د. غيبة «أن يعترف بهذا الخطأ الفادح الذي وقع فيه، ويتوقف عن إصدار أية طبعة جديدة من كتابه المشار إليه، كي لا يتم ترويج جديد له ويقع فيه آخرون».

بعض من تابع د. غيبة ممن يعتبر نفسه من الباحثين في التراث كالسيد منصور مهران أبو البركات كتب يقول على موقع الوراق بتاريخ 30 يونيو 2005: «تتمة لما ذكره الفضلاء الذين بينوا نشرة رسالة ابن فضلان أقول: إن هناك نشرة حديثة قام بترجمتها والتقديم لها الدكتور حيدر محمد غيبة وجمع نصوصا تتمم نشرة الدكتور سامي الدهان وطبعت الرسالة في الشركة العالمية للكتاب ببيروت سنة 1994، وتعد هذه الطبعة أكمل طبعة حتى الآن وإلى أن تظهر مخطوطات جديدة فهي النسخة المعتمدة».

قبل ذلك أصدر أحمد عبد السلام البقالي «انطلاقاً من رسالة ابن فضلان لسامي الدهان وآكلة الأموات لمايكل كرايتن» على ما يقول كتاباً بعنوان «مغامرات سفير عربي في اسكندنافيا منذ 1000 عام» عام 1988 ثم عن مكتبة العبيكان السعودية عام 2003. ويرى أن ما قام به كرايتون هو الرحلة عينها، بينما يعلق قارئ متحمّس على هذا الكتاب بأنه: «وثائق قصة ابن فضلان والتي ثبتت مطابقتها للأحافير والكشوفات الأثرية ولمواصفات رجل النياندرثال الذي وجد بعض أجزائه في بعض الأحافير في ألمانيا وفرنسا والعراق والفلبين أعادت النظر في صحة التوقع السابق بخصوص مرحلة انقراض رجل النياندرثال أو (الفندول حسب رواية ابن فضلان)».

ويبدو أن ما صدر وما كُتب عن رحلة ابن فضلان لم يطفئ روح الخرافة والإشاعة وعدم التمحيص لدى شريحة كبيرة من الباحثين والكتاب والصحفيين والقراء، سوى القلة منهم مثل لطف الله قاري في مقالته المنشورة في مجلة «الفيصل» السعودية العدد رقم 339 عام 2004 بعنوان «رحلة ابن فضلان بين الواقع والخيال» نقد فيها جميع الطبعات، مستثمراً معلوماتها كلها، مشيراً إلى أن أول من نبّه إلى روائية رحلة كرايتون هو محمد ناصر الشوكاني عام 2001 (عَرَضَاً في جريدة الرياض، العدد 11903 الخميس 25-1-2001). منتبهاً إلى إن بير فراوس-دولوس خرافة لا غير، منتقداً طبعة السويدي – ارتياد الآفاق عن حق وباطل. من باطلها عدم اعترافه بعثورها على بضعة مقاطع من الرحلة في كتاب القزويني «عجائب المنخلوفات»، ومنه قوله إن المحقق «لا يأتي أبداً بدليل قاطع على أن عمل كرايتن مجرد خيال» (ص45) في حين أنه نفسه، قبل ذلك، على الصفحة 49 يقول بالحرف القاطع: «عمل كرايتون هو مزيج من الخيال الذي يملأ كل صفحات الرواية، وخداع للقارئ بادعاء أن ما يكتبه واقع حقيقي». ثم نقده للمحقق بأنه «لا يتطرّق إلى ذكر ملحمة بيوولف ودمج [كرايتون لها] مع أحداث رحلة ابن فضلان». وهنا محض فرضية من طرف الناقد. تستحق قصيدة بيوولف Beowulf متخصصاً، ولا نظن كرايتون قد «دمجها» بالفعل في روايته، إنما استلهم المناخ الفواح في هذا النوع من الملاحم. وبيوولف قصيدة

(15) رشاد أبو شاور: ارتياد الآفاق مشروع كبير ورحلة ابن فضلان واحدة من دررة ـــ رشاد أبو شاور، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد891 بتاريخ 2004/1/17.

ملحميــة مــن الآداب الأنغلوسكســونية مكتوبــة بإنجليزيةٍ عتيقةٍ قبل القرن العاشر الميلادي حسب البعض، وبــين النصــف الأول من القرن الســابع ونهاية الألفية الأولى حســب البعض الآخر. تصف مغامرات محارب إســكندنافي من القرن السادس. وهــي تتوجــه إلى جمهــور ذي ثقافــة مســيحية وتستلهم التقاليد الشفاهية الأنغلوسكسونية، ذات بنيــة في آن واحد حقيقية وخيالية. وتعتبر بيوولف أقــدم ملحمــة انكليزيــة غير ضائعــة، موجودة في مخطوطــة يتيمــة في المتحف البريطانــي في لندن. وأصلها ملحمــة جرمانية مكتوبة بالوزن والقافية تتضمن مآثر البطل بيوولــف الذي أخذت الملحمة منه اسمها.

بعدئــذ كتبَ الكاتب همام عبــد الله الحارثي – لعله اسم مستعار – عازياً لنفسه اكتشاف تخليط د. غيبــة، ثم علّق في النيت بعصبيةٍ، لا تليق بباحث أكاديميّ، على الســيدة ســلمى الهلالي التي تقترح العــودة لطبعة دار (ارتياد الآفــاق): «نجد أخطاء عديــدة وقع فيها شــاكر اللعيبــي[16] . ومنها عدم معرفتــه بأن الباحث النرويجي المزعوم شــخصية خيالية، وأيضــا عدم اطلاعه عــلى طبعات الكتاب المختلفة. فنرجو مطالعة كل ما كُتب عن الموضوع بدلاً من عمل دعاية مجانية لمقالة مليئة بالأخطاء» على ما يقول حرفياً بنبرةٍ من الغيض وعدم إنصاف كامل.

وفي فــوضى إلغاء مجهــودات جميــع الباحثين والناشريــن والصحفيــين والقراء المُستشــهد بهم أعلاه، تتصاعد حمّى الفنتازيا بشــأن الرحلة ويقع الحديث مرةً عن (القراصنة السويديين). فقد نشر الكاتب سهر العامري في السويد عن فيشون ميديا (Visionmedia) كتابه «رحلة ابن فضلان، دراسة وتعليــق وترجمــة» قائــلاً: «منذ أن وقعــت بيدي رســالة ابن فضلان قبل ســنوات، رحت أبحث عن كل حــرف كتب عنهــا، وقد تيقنت، فيمــا بعد، أن العــرب لم يكتبوا إلا شــيئا نــزراً، مقارنة بما كتبه الأوربيــون عنهــا [...] ولمــا كنت أنا أحســن اللغة الســويدية، ولما كان ابن فضلان قد كتب عن أهلها، لهذا تركز نقلي ذاك، ودراســتي هــذه ـ في أغلبهما ـ عن أولئك السويديين (القراصنة) الذين التقاهم ابــن فضلان قريبا من ضفــاف نهر الفولغا، ولهذا الســبب تعرضت أنــا للمــدن التي أشــادها هؤلاء القراصنــة على ضفتي بحر البلطيق [...] وحاولت تعزيز ذلــك بملحق من صــور نقلتها من مصادر متعــددة، أشرت إلى كل واحــد منها في ذيل التعليق الــذي تركته تحــت كل صــورة منهــا [...] ومثل ذلــك أضفت كذلك فصلاً تامــاً كتبه ابن فضلان في رسالته عن القراصنة السويديين الذين عرفهم هو باســم: (الروســية)، وكان هذا الفصل مترجماً إلى

مسار رحلة ابن فضلان المتخيل، مشار له بخط متقطع.

(16) اسم العلم هذا يُكتب لعيبي من دون ألف ولام. لو لا سوء الطوية لقلنا أن الباحث الفاضل الحارثي لم ير غلاف الطبعــة التي يتحــدث عنها. لنعتبر الأمر ســهواً من باحث مدقق في التراث.

اللغــة الســويدية، وقام بترجمتــه إليها مع فصول الرسالة الأخرى Stig Wiknader في كتابه:
Araber, Vikingar, Väringar, 1978) (Lund [...] ولا يفوتني أن اذكر أخيراً من أنني قد عدت إلى مصــادر كثيرة كتبت عن صاحب الرحلة، ومــا تناولته هي من موضوعــات، وفي لغات ثلاث: هي العربية والسويدية والإنجليزية، وقد قمت بذكر بعــض منها في نهاية الكتاب». وفي مكان من النيت يكتــب العامري عــام 2006: «ومما يذكره ياقوت كذلك هو أن ابن فضلان، صاحب الرســالة قد عاد إلى بغداد، وهذه الإشــارة هي دليــل آخر، يدحض الزعــم القائل إن ابن فضلان لــم يعد، وإنه ارتحل من بلد البلغار إلى البلدان الإســكندنافية، وحقيقة الزعــم هــذه تــرد إلى روايــة (أكلة الأمــوات) التي كتبهــا الأمريكــي ميكائيل كريشــتون (Michael Crichton)، والتــي تحولــت فيمــا بعــد إلى فيلــم سينمائي سنة 1999م تحت عنوان (المحارب 13) The 13th Warriorوقد أراد صاحب الرواية، ومــن ثم الفيلم إســقاط كل الصفات المشــينة على ابن فضلان، ومن ثم على العرب وبأسلوب تاريخي امتزج بخياله المريض، ولكنه ما اســتطاع، مع كل ذلــك الخيــال، أن يحط مــن قدر البطــل أحمد بن فضلان»[17].

لا نعدم حديثا عن (شــعب الفيكينغ) في العدد الثالث عام 2007 من مجلة «المغربية» التي تصدر في ســتوكهولم بمقــال يقــدّم ملخصاً «عن شــعب الفيكينــغ كما رآهــم الرحالة العربــي ابن فضلان قبل ألف ســنة. وتعتبر رسالة ابن فضلان هذه أول نقل عربي مباشر عن الإســكندنافيين مع ملاحظة انه كان يرمز إليهم في كتاباته بالروس سكان نهر الفولغا».

ثم عــاود محمد الأســعد كتابة عمــود صحفي تحت عنوان «ابن فضلان.. غائب حاضر» في جريدة القبس الكويتية (72 سبتمبر 2008 – السنة 37– العدد 126) قائــلاً: «في الســنوات القليلة الماضية تلامحــت خطوط من شــخصية العربــي صاحب الرحلــة أحمد بن فضلان الشــهيرة إلى بلاد البلغار على ضفاف الفولغا في القرن العاشر الميلادي. ظهر في فيلم هوليوودي، وفي رواية عربية، وفي مسلســل مأخــوذ من قصة الفيلم الهوليوودي.. وبدأ اســمه يــتردد في مواقع الكترونية، بين من يناقش ســيرته التاريخيــة وبين مــن يتأمــل في ســيرته الخيالية، وكشــف بعــض الكتاب عــن الخطأ الفــادح الذي وقع فيه باحث عربي حين ضم ســيرة ابن فضلان الخياليــة في البــلاد الاســكندنافية لكاتــب الخيال العلمــي مايــكل كرايتــون إلى ســيرته التاريخيــة المعروفة». دون أن يُسمّي أحداً.

البعض مــن الباحثــين في الــتراث العربي مثل الدكتــور الفاضل عبد الله إبراهيــم قام بتعليقات واثقــة عن «الروح السردية والآخــر.. إلخ» انطلاقاً من رواية كرايتون- غيبة التي اعتبرها بكل بساطة نصــاً تاريخيــاً صحيحاً (انظــر مقالتــه «مفكرة الــسرد: الآخر ومســارات ابن فضــلان»، في جريدة الرياض، الخميس السنة 38 العدد 1287 بتاريخ 29 آب 2002) ثــمّ ظهــرت هنــا وهنــاك خرائط وهمية لمسار الرحلة.

وَهْم الترجمة النرويجية

وبــين هذا وذاك كانت الإشــاعة تكــبر مثل كرة الثلــج والنقولات تتمّ من كاتب لآخر بشــأن اعتماد كرايتــون الترجمة النرويجية لرســالة ابن فضلان التي «قام بها الأســتاذ النرويجي بــير فراوس ـــ دولوس الــذي جمع مــا تناثر من أجزاء الرســالة بلغــات مختلفة ونقلهــا للنرويجية بين الســنوات 1951 وحتــى وفاتــه 1951» حتــى أن أحدهــم ســمى الروائي كرايتون بالعالِم: «ومن جميع هذه النسخ قام الأســتاذ النرويجي بير فراوس دولوس بجمع ما تناثر من الرســالة بلغات مختلفة ونقلها إلى اللغــة النرويجيــة. ثــم ترجمهــا إلى الإنكليزية العالِم الأمريكي ميخائيل كرايتون، ومنها ترجمت

(17) http://www.al-nnas.com/ARTICLE/SAmri/23fd.htm

مـرة ثانيـة إلى اللغـة العربيـة بتحقيـق الدكتور حيـدر غيبة». يكتب من الدوحة رشـيد يلوح (ابن فضلان.. رحالة لم يتوقف عن المسـير) - صحيفة العـرب بتاريـخ 25-20-2009- يقـول بالثقـة عينهـا: «تتفـق أغلب المصـادر التاريخيـة على أن رحلة ابن فضلان هـي أقدم رحلة تصور تفاصيل شعوب شـمال وشرق أوروبا قبل حوالي ألف عام، علـق عليها أحد كبار المهتمين بها الباحث الأميركي كرايتون»، وأن قد «ظهرت رحلة ابن فضلان باللغة العربية واللاتينية والألمانية والفرنسية والدنماركية والسـويدية والإنجليزية، ومن جميع هذه النسـخ قام الأسـتاذ النرويجي بير فراوس دولوس بجمع مـا تناثر ونقلـه إلى اللغة النرويجيـة، ثم ترجمها إلى الإنجليزية العالم الأميركـي ميخائيل كرايتون، ومنها ترجمت مرة ثانية إلى اللغة العربية بتحقيق الدكتور حيدر غيبـة، ومما يذكره النقاد عن رحلة ابـن فضلان أن نصها العربـي هو المتفق عليه، أما زيادات كرايتون ففيها خلاف قويّ».

وتكتب زينة عصام محمد في (أحمد بن فضلان المنسي من الذاكرة العراقيـة عاش مع الفايكنغ) - جريدة الزمـان بتاريـخ 19-11-2007- تقول: «حسب مقدمة ميتشل كريتون للطبعة الإنجليزية التي أعدها وترجمها ونشـرها عام 1976م عن مؤسسـة بنتام بوك فإن أهم المصادر التي جمعت منها الفقـرات والمقاطع التي كونت فيما بعد نص رسـالة أحمد بـن فضلان في ضوء فقدان النسـخة العربيـة الأصليـة الكاملـة [...] ولهذه الأسـباب احتفي الباحثون الإسكندنافيون برسالة أحمد بن فضلان، وطبعـت عـام 1959م بمختلف اللغات الاسـكندنافية. وقد كان أكثرهـم احتفاءً واهتماماً بهـا البروفسـير النرويجـي بير فـراوس دولوس. هذا في الوقت الذي مازالت هذه الرسـالة شـبه غير معروفة تقريباً لدي غالبية القراء والمثقفين العرب رغـم صدورهـا في طبعتـين عربيتين». لا تسـمي الكاتبة أيـا من الطبعات وتنقل عـن كل ما يتوفر تحـت يدها ممـا ذكرناه دون أن تستشـهد بأحد، معيدة المعطيات على علاتها، في نبرة احتفاء بكاتب تراثـي تعتبره مجهولاً وملغياً مـن الذاكرة المحلية العربية والعراقية.

بينما يحـث الروائي المصري بهـاء طاهر على إعـادة دراسـة الرحلـة التـي هـي «أول نصوص مكتوبـة بأي لغـة عن تاريـخ الـروس وجيرانهم سكان اسـكندناوة والفايكنج الشـماليين من أهل السويد والنرويج»، ويذكر: «أنه لم يعثر في الثقافة العربيـة على أثر لرحلـة ابن فضلان باسـتثناء ما كتبه الباحث السـوري سـامي الدهان الذي حقق المخطـوط وكتـب مقدمتـه حـين نشر في سـورية في العـام 1959 ودراسـة الباحـث المصري فوزي العنتيل التي قارن فيها ما سـجله ابن فضلان بما كتبه علماء التراث الشـعبي..» (مقالته «اكتشـاف رحلـة ابـن فضـلان وأثرهـا في الغـرب»، المجلـة الفصلية «مـا بعد»، منشـورات «جمعية العاملين السـابقين بالامـم المتحدة» في مـصر، العدد الثاني 2007). وكلامـه يـدل عـلى تقوقع بعـض رموز الثقافة المصرية الذي نقدِّره وإشـاحته عما يجري في العالم العربي.

تخليط إضافي في مسلسـل حسـن م. يوسـف التلفزيوني عن الرحلة

لقـد جرى تتويج ذلـك التخليط الذي أطلقه د. غيبة والبقـالي المدعوم برواية كرايتون بالمسلسـل التلفزيزنـي الـذي كتبه حسـن م. يوسـف تحت عنوان (سـقف العالم) عام 7002. وهنا تسـتعاد من جديدة، دون تمحيص، الخرافة.

ومن أجـل تعزيز سرديات مسلسـله الخرافية ظـل المؤلف حسـن م. يوسـف ينـوّع تصريحات الريـادة والكشـف التاريخـي. يذكـر إلى جريـدة الثورة السورية[18] عام 2007 وللسنة هذه مغزى لن يفوت على أحد:

(18) جريـدة (الثـورة) السـورية، يـوم الخميـس 13/9/2007. على النيت.

«عندمـا قمت بزيارة فيلندا مدة أسـبوع كتبت في صحيفـة «تشرين» السـورية يوميات من رحلة حملـت عنـوان «رحلة إلى سـقف العالـم»، وعقب اكتمـال المقالات قام شـخص أعتقد أنه عالم الآثار الراحل جبرائيل سعادة، بجمع تلك المقالات وإعادة إخراجها على شـكل كتيب، أرسـل لي نسـخة منه، مرفقة برسـالة قال فيها إنني فيمـا كتبت تابعت تقاليد الرحالة العرب. وأبلغني آنذاك أنه ثمة سفير عربي يدعى أحمد ابن فضلان سـبقني إلى الشمال الإسـكندنافي بحوالي ألف وثمانين سنة. هكذا بدأت البحـث عن ابـن فضـلان، وكانت فرحتـي كبيرة عندما عثرت على رسالته الصادرة عن مجمع اللغة العربية بدمشـق، إلا أنني مـا أن ألقيت نظرة على الرسـالة حتى تأكد لي أنها ليسـت كاملة... وهكذا بدأت رحالة البحث عن النص الأصلي لابن فضلان، «تحدوني الرغبة لأن أصدر كتاباً بعنوان (رحلتان إلى سقف العالم بينهما ألف عام) وبنتيجة البحث، بمسـاعدة الدكتور الجردي، تبين لي وجود نسـخة أخـرى مـن ذلـك المخطـوط في جامعـة كراكوف ببولونيـا لكننـا عندمـا حصلنـا عليها اكتشـفنا أنها منسـوخة عن المخطوط المنقـوص.... وهو ما جعلني أشـعر بالخيبة وأفكر في صرف النظر عن «ابن فضلان»، لكن خلال زيارة «للصديق الطبيب مازن علوش في منزله، لفت نظري في مكتبته كتاب بالانجليزية بعنوان غريب (أكلة الموتى) وما أن ألقيت نظـرة عليه حتى تبين لي أنـه مخطوط ابن فضلان الذي أبحث عنه».

ويتابـع قائلاً: «للكتاب قصـة غريبة حقاً، فقد ترجمت رسـالة ابـن فضـلان، إلى اللاتينية خلال العصـور الوسـطى ومنها إلى العديد مـن اللغات، وقد كرس البروفسـور النرويجي فراوس دولوس كل حياته لإعادة بناء رسالة ابن فضلان من خلال بقايا النص العربي ومختلـف الترجمات المتوفرة، وقد أنهى دولوس عملـه ونشر فصلين من الكتاب قبل أن يموت عام 1953، وبعد ذلك بعقدين وقعت محصلـة جهد دولوس بـين يدي روائـي أمريكي يدعى مايكل كريشـتون فخلص النص من معظم الهوامـش التي يـرزح تحت وطأتهـا وأعاد نشره كرواية!». ويضيف حسـن م.يوسـف بعد الانتهاء من قراءة النص الإنجليزي أن: « المدعو كريشـتون لم يذكر اسم ابن فضلان على الغلاف، كما لم يذكر اسـم دولوس, وبما أن القسـم المتوفر بالعربية لا يشكل سـوى جزءاً ضئيلاً من رسالة ابن فضلان، فقد اشـتعل الحماس في صدري مجدداً وقررت أن أترجـم المقاطع المفقـودة من الكتـاب إلى العربية لكسر غربة ابن فضلان». وتضيف الجريدة: «وهو ما دفعه لترجمة رسالة ابن فضلان، وذلك في مطلع التسعينات من القرن الماضي لينتهي في أواخر عام 1995 ويفكـر في أن يطبع الترجمة لحسـابه غير أنه علـم في ذلك الوقت أن ثمة كتـاب يطبع في دار الأنوار للدكتور سليمان المدني بعنوان «أكلة لحوم البشر» وهو يتضمـن ترجمة نص ابن فضلان عن الإنجليزية: «وعندها أدركـت أن وقتي وجهدي قد ضاعا هباء. في مطلع العام 2004 وقعت ترجمتي لابن فضلان في يـدي فأعدت قراءتها، وفجأة خطر لي أن أكتب رواية عن علاقتي بابن فضلان وقصتي الغريبـة مع مخطوطه، وقـد ازداد حماسي لإنجاز العمـل بعد انفجار قضية الرسـوم الكاريكاتورية المسـيئة للنبي صلى اللـه عليه وسـلم». وتابع «في الأشـهر الأخيرة مـن عام 5002، كنـت قد انتهيت مـن مرحلة البحث التاريخي، وعزمت على السـفر للتفـرّغ لكتابـة الرواية، وقبل سـفري بيوم واحد اتصل بـي المخرج المبدع نجدت إسـماعيل أنزور، وسـألني عما أعمـل فحدثتـه عن عزمـي التفرغ لمشروع الرواية, فما كان منه إلا أن أبدى استنكاره لأننـي أنوي إضاعـة وقتي في كتابـة رواية يقرأها بضعة آلاف من الناس».

ومثلما صدّق الكثيرون روايات د. غيبة والبقالي فقـد سـارعت الصحافـة العربيـة إلى اسـتعادة تصريحات حسن م. يوسـف بسرعةٍ فائقةٍ وبخفةٍ لا تليـق بالمعرفـة التاريخيـة أو العمـل الصحفي الرصين. يسـتحق كلام حسـن م. يوسـف بعض

التوقف والتأمل:

أولاً: د. غيبــة أصدر كتابه عن ابن فضلان عام 1994وأحمــد البقــالي طبعته الأولى عــام 1988، بينمــا ســافر م. يوســف كما يقول في مــكان آخر (انظر جريــدة الحياة أدناه) عــام 1988 أي بعد ســتة أعوام لا غير إلى فلندا، ولم يتســنَ له، على ما يبــدو، الاطلاع على كتاب غيبة المطبوع في ســوريا، رغم اهتمامه الموسوس بابن فضلان.

ثانياً: يطّلع م. يوســف على رسالة ابن فضلان الصادرة عن مجمع اللغة العربية بدمشق، ويتأكد بنفسه أنها ليست كاملة، ناسيا أن د. الدهان الذي قرأه يشير أيضاً إلى ذلك في طبعته بقوله: «إن هناك ورقةً أو ورقتين ضائعتين من مخطوطة (مشهد)».

ثالثــاً: تبيّن لحســن م. يوســف وجود نســخة أخــرى مــن ذلــك المخطــوط في جامعــة كراكوف في بولونيا مكتشِــفاً أنها منســوخة عــن المخطوط المنقوص. ولسوف يقدّم الأستاذ الفاضل م. يوسف خدمة جليلة للثقافة العربية لو أنه أرشدنا إلى هذه النسخة المنسوخة التي لا نعرف عنها شيئاً.

رابعاً: لفت نظره في مكتبة أحد أصدقائه كتاب بالانجليزيــة بعنــوان غريب (أكلة الموتــى) وما أن ألقــى نظرة عليه حتــى تبين له أنــه مخطوط ابن فضــلان الــذي يبحث عنــه. هل كان الأمــر قبل أم بعــد طبعتي غيبة والبقالي زمنياً؟ لا نعرف، لأنه لا يشير البتة إلى طبعة د. غيبة بإصرارٍ واضح. سوى أن الأســتاذ الفاضــل م. يوســف يعلــن بوثوقية لا يُحســد أحد عليها أنه «تيقن» ساعتها من أن رواية كرايتون ليســت ســوى مخطوط ابن فضلان الذي يبحث عنه.

خامســاً: يعــاود بثقــة مماثلة تثبيــت حكاية البروفســور النرويجي دولوس. الذي «شيد الرحلة من خــلال النص العربــي» الموجود، وهــي رواية يتفرد بها م. يوسف.

سادســاً: يقــول مؤلــف المسلســل إن «المدعو كريشــتون» لم يذكر اسم ابن فضلان على الغلاف، كمــا لم يذكر اســم دولوس. وهذا ليــس دقيقاً لأن عنــوان رواية كرايتون الفرعي عــلى الورقة الثانية مــن الكتاب هو «مخطوطة ابن فضلان التي تروي تجاربه مع رجال الشمال عام 922م»:

The Manuscript of Inb Fadlan Relating His Experiences With The North Men In A.D. 922

بينما يرد اسم البروفسور النرويجي دولوس في المقدمة المكتوبة على شــكل تنقيب تاريخي مزعوم (انظر النــص الإنكليزي الأصلي لمقدمة كرايتون في نهاية هذا البحث وتعقيباتنا عليه). الأكثر من ذلك يتفرد م. يوســف بذكر أن محصلــة جهد دولوس وقعــت بعد بعقديــن من الزمن بين يــدي الروائي مايــكل كريشــتون «فخلــص النــص مــن معظم الهوامــش التي يــرزح تحت وطأتهــا وأعاد نشره كروايــة». كرايتون يقول: «حذفــتُ بعض المقاطع المكررة».

ســابعاً: إن الصيــغ التــي يســتخدمها مؤلف المسلســل عنــد الحديــث عــن علاقتــه بالرحلــة ومصادرهــا التاريخيــة تعــلي، بإفــراطٍ لا يليــق بالباحــث المنقّــب، مــن شــأن الــذات المكتشِــفة وحدهــا التي لا وجود لها أثنــاء البحث التاريخي، والأخــير مجموعة من الخــبرات المتراكمة والجهود المتواليــة لباحثــين عدة، لســنا ســوى تلاميذ لهم. هكذا يســتخدم م. يوسف عبارات مثل «عثرت على رســالته» و«تأكد لي أنها ليســت كاملة» و«تبين لي وجود نســخة أخرى» و«قــررت أن أترجم المقاطع المفقــودة» و«وقعت ترجمتــي لابن فضلان في يدي فأعدت قراءتها».

ثامناً: أغرب ما في الأمر هو أن حسن م. يوسف كتب ما كتب أعلاه عام 2007 بعد نشرة الدهان عام 1959- 1960 وطبعــة (ارتيــاد الآفاق) الصادرة عــام 2003 والتصحيحــات والســجالات اللاحقة التي أعلنتْ للملأ، في الأقل، الطابعَ الافتراضي لعمل الروائي كرايتــون، وغالبتها مكتوبــة عام 2006. أين كان حسن يوسف من ذلك كله، ولمَ لم تسترعِ انتباهــه، هــو المتحرّق شــوقاً والمســافر في جهات

الأرض الأربــع بحثاً عما يشــفي غليله بشــأن ابن فضلان.

لقد توالت التعليقات خبط عشــواء ودائماً دون تمحيص على المسلسل التلفزيوني. كتب فتحي أبو حطب في موقع المعهد الدانماركي المصري للحوار: «تعتمــد أحــداث مسلســل «ســقف العالــم» على مخطوط عربي قديم هو «رسالة ابن فضلان» وهو مخطوط ضاعت كل نســخه الأصلية منذ أكثر من ألف عام ولم يتبق منه ســوى أجزاء واستشهادات قليلــه نقلها عنه بعض الرحالــة والمؤرخين العرب والغربيين. حتى قام البروفيســور النرويجي «بيير فراوس» أستاذ الأدب المقارن بجامعة أوسلو بعدة محاولات لإســتعادة المخطوط مــن مصادر أجنبية مختلفــة، وقام بتدقيقه اســتناداً إلى مــا تبقى من النص العربيّ وكذلك استشهادات ياقوت الحموي في كتابة «معجم البلدان» ولقد نشر متحف أوســلو الوطنــي ترجمــات فراوس للمصــادر التي حصل عليهــا في الفترة من 1959 وحتــى 1960 أي بعد عامــين من وفــاة «بيير فراوس» عــام 1957. قبل أن تتضح بشــكل كامل النتائج النهائية لدراساته وترجماتــه. إلا أن الاهتمــام الغربي برســائل ابن فضلان لــم يتوقف وكانت محطتــه التالية على يد الروائــي الأمريكي مايــكل كريتشــتون حيث قام بتأليــف روايتــه « آكلة لحوم الموتــى» اعتمادا على مــا تبقى من المخطوط وعلى ما نشره البروفيســور النرويجــي. ولقــد تحولــت راوية كريتشــتون إلى فيلــم ســينمائي هو «المقاتــل الثالث عــشر» الذي قام ببطولته أنطونيو باندارس مجســدا شخصية أبــن فضلان ومعــه الممثــل المــصري العالمي عمر الشريف»[19].

وكتبت وكالة رويترز من دمشــق عن المسلسل: «ومن المعروف أن ابن فضلان الذي عاش في القرن العاشر الميــلادي يعد من رواد أدب الرحلة العربية وكتب بالتفصيل عن البلاد التي زارها وشــعوبها، وقال الكاتب الســوري حســن يوســف أن كتابات ابــن فضلان قد فقدت باللغــة العربية ولولا جهود أحــد المســتشرقين النرويجيين وكاتــب أمريكي لما أعيد اكتشــافها. ويعتمد مسلســل أنــزور الجديد عــلى رواية «أكلة الموتى» للكاتــب الامريكي مايكل كريتشــتون التي تصــف رحلة ابن فضــلان التي أوفده فيها الخليفة المقتدر بالله من بغداد».

وكتبت ماهر منصور: «كان الكاتب والسيناريست حسن م. يوســف، الذي قضى نحو عشرين عاماً في البحــث في رســالة أحمد ابن فضلان الــذي «أوفده الخليفة العباسي المقتــدر، قبل حوالي ألف وثمانين سنة، ضمن ســفارة إلى بلاد الصقالبة البلغار. وفي طريقه إلى هناك يرغمه رجال الشمال الاسكندينافي عــلى مرافقتهم بنــاء على أوامــر عرّافتهم، في رحلة إنقــاذ إلى بلاد الدانــز ـ الدانمــرك، حيث يخوض مع الشماليين معاركهم ضد شعب الفاندالز «آكلة لحوم الموتى». كان تقفي آثار ابن فضلان في رسالته قد اســتغرق من حسن يوسف فترة طويلة، حصل خلالهــا على عدد من المخطوطات التي تبين له أنها ناقصة أو منســوخة عن مخطوط منقوص. إلى أن قرر البدء في ترجمة رســالة ابن فضلان منذ مطلع تسعينات القرن الماضي، ونتيجة انغماسه في عمله، تمت الترجمة ببطء شديد، ففرغ منها أواخر العام 1995، وقد نوى طباعتها على حســابه الشخصي. إلا أن اطلاع السيناريســت السوري بالصدفة على بروفــة كتاب كان يطبع حينها بعنوان «أكلة لحوم البشر» تبين انه يتضمــن ترجمة نص ابن فضلان عــن الإنكليزية، أنهــى مشروعه بطباعة الرســالة. لكــن حكايته مع رحلــة ابن فضلان لــم تنته عند هذا الحد، كما يشرح حسن م.يوسف لــ«السفير». يقــول الكاتب: «مطلع العام 2004 وبعد أن أعدت قــراءة ترجمتي لرســالة ابن فضــلان خطر لي أن أكتــب رواية عــن قصتي الغريبة مــع ابن فضلان ومخطوطه. وقد ازداد حمــاسي لإنجاز العمل بعد انفجــار قضيــة الرســوم الكاريكاتورية المســيئة للنبــي. إلا أن الروايــة لم يكتب لهــا الظهور أيضاً

(19) http://www.dedi.org.eg/index.php?id=351.

ولكن هذه المرة لصالح المسلسل»[20].

أمـا أحمد خليل فكتب في جريدة الحياة: «رافق تصويـر مسلسـل أنـزور دعايـة إعلاميـة كبيرة وترويـج لافت كعمل فني يدافع عن قيم الإسـلام، بـدءاً من رمضان المـاضي 2006، حين عقد أنزور ويوسـف مؤتمـراً صحافيـاً أعلنا فيه خـبر إنتاج المسلسـل، كما تبـع ذلك مؤتمر صحافي في شـباط 2007 تحدث فيه حسن يوسف عن قصة سيناريو «سـقف العالم» قائـلاً: في عام 1988 سـافرت في مهمة صحافيـة إلى فنلندا، وكتبـت من وحي هذه الرحلـة مقالات سـميتها «سـقف العالـم». وبعد حين قال لي أحد الأصدقاء بأن عربياً سـافر إلى تلك البـلاد قبلي بـ 1080عاماً، وكان اسـمه أحمد بن فضلان، فبدأت البحث عن قصة هذا الرجل وعثرت على رسـالة محققة من قبل السيد أحمد دهمان في مجمـع اللغة العربية، ثم اكتشـفت أن مقاطع من هذا المخطـوط موجودة في معجم البلـدان لياقوت الحموي وغيره من المؤرخين كالإدريسي، وعثرت في مكتبة أحد الأصدقاء على كتاب أجنبي اسـمه «أكلة لحوم البشر» كتبه اميركي اسمه مايكل كريشتون. وهذا الكتـاب كان مخطوطاً لرحالة عربي اسـمه أحمد بن فضلان»[21] . التصريح نفسـه منشور في أكثر من مكان.

السـيد أحمد دهمان الوارد في الاستشهاد أعلاه هـو الدكتور سـامي الدهان. لنعتبر كتابة الاسـم واللقب كليهما على تلك الشـاكلة خطأ مطبعياً من باب حسـن النية والمحبة. في سـوريا أنجبت عائلة دهمان العديد مـن الباحثين ومنهم أحمد بن خالد بن مصطفى دهمـان (1844-1927)، محقق في التراث لم يشـتغل على رحلة ابـن فضلان، ومحمد أحمـد دهمان المـؤرخ والمحقـق الذي لم يشـتغل بدوره على الرحلة.

وأما اكتشاف م. يوسف أن مقاطع من المخطوط موجودة في معجم البلـدان لياقوت الحموي وغيره من المؤرخـين (كالإدريسي!)، فهو اكتشـاف قديم (انظر طبعة كراتشوفسكي 1939) تابعه الدكتور الدهان أيضـاً ذاكراً في مقدمتـه: «أنَّ الإصطخريَّ وابنَ رسته والمسعوديَّ قد قرأوا رسالةَ ابنِ فضلانَ ونقلوا عنه دون أن يُثبتوا أنَّهم قد نقلوا عنه». يذكر الدَّهان أنَّ ياقوت، في القرن السابع، كان (أول) من أشـار إلى ابنِ فضلانَ، مختاراً فصولاً من رسـالتِه ومُدْرِجـاً إيَّاهـا في معجمـه، مُصَرِّحـاً أي ياقوت، بأوضح عبارة، بأنَّه ينقل عنه، خاصةً تحت المواد: خوارزم، باشـغرد، بلغار، إتـل، روس، خزر. وقد أثبـتَ ياقوتُ قرابـةَ عشرين صفحةً من الرسـالة، وتـرك خمـسَ عـشرةَ صفحةً منهـا، فكأنَّـه، كما يقـول د. الدَّهان، نقل ثلثيها وبقي ثلثٌ واحدٌ، على الأقـلِّ، مجهولاً». ونقولات ياقـوت معروفة ومثبتة مـن طرف الجميع. بينمـا لا علاقة للإدريسي بابن فضلان ولا توجد مقاطع من مخطوطة ابن فضلان في كتـاب الشريـف الإدريـسي (1099– 1166م) «نزهة المشـتاق في اختراق الآفـاق». تكلم الإدريسي عن الروس وآسـيا الوسـطى أيضاً مثـل كثير من الجغرافيين العرب والمسـلمين مـن دون أن ينقلوا بالضرورة عن ابن فضلان.

كتب موقع (الجمل بما حمل)[22] يقول: «وقائع المسلسـل مبنيـة عـلى مخطـوط عربـي قديم هو (رسالة ابن فضلان) ضاعت جميع نسخه العربية الأصليـة منذ حـوالي ألف عام ولم يبق منه سـوى الاستشـهادات التي اقتبسها الرحالة العرب منه في كتبهم، لكن البروفسـور النرويجي الراحل فرانس دولـوس، أسـتاذ الأدب المقارن في جامعة أوسـلو قـام بتكريس حياته كاملـة لتجميع مخطوط ابن

(20) حسن م. يوسف: الفن يؤثر في الناس ليغيروا الواقع، منشورة على:
arabicdrama.net/mag/modules.php?name=News&file=article&sid=12

(21) «سـقف العالـم» و «المحـارب 13»: اقتبـاس أم تـوارد أفـكار؟، دمشـق- أحمـد الخليـل الحيـاة بتاريخ 2007/09/26..

(22) حسن م يوسف ونجدت آنزور يتعاونان على سقف العالم http://www.aljaml.com/node/13409

فضلان، من مختلف المصادر واللغات وقام بتدقيقه بالاستناد إلى ما تبقى من النص العربي، وما كان قد ترجم منه الى اللاتينية، والألمانية، والفرنسية، والدانمركية، والسويدية، والإنجليزية. وقد توفي الباحث دولوس عام 1957 قبل أن ينشر نتيجة عمله، فجاء الكاتب الأمريكي مايكل كرايتون وقام بإعداد المادة التي أفنى المرحوم دولوس عمره فيها، ونشر الكتاب باسمه بالانجليزية بعنوان Eaters Of The Dead ، أي (أكلة الموتى) دون أن يذكر على الغلاف اسم ابن فضلان ولا اسم الباحث دولوس. وقد قام الكاتب حسن م. يوسف بترجمة الكتاب من الإنجليزية مبقياً على الفقرات العربية كما هي بلغة ابن فضلان».

لا يعرف أحد ترجمة المؤلف الكريم حسن م. يوسف لأنها لم تُنشر أو لم يرغب هو بنشرها.

كما كتبت الشاعرة أميرة كشغري في جريدة (الوطن) السعودية[23]: «وتعود تفاصيل قصة الموضوع الأول في هذا المسلسل إلى مخطوطة عربية قديمة كتبت منذ حوالي ألف عام وضاعت جميع نسخها الأصلية فلم يبق منها سوى ما اقتبسه الرحالة العرب في كتبهم وهو أقل من 5% من الحجم الأصلي للكتاب. لكن ذلك الكنز المفقود تمت استعادته من قبل البروفيسور النرويجي فراوس دولوس، أستاذ الأدب المقارن في جامعة أوسلو الذي قام بإعادة بناء تلك المخطوطة تأسيساً على ما تبقى من النص العربي كما قام بإعادة ترجمة ما سبقت ترجمته من الكتاب إلى اللاتينية والألمانية والفرنسية والدنماركية والسويدية والإنجليزية. وقد نشرت ترجمة دولوس في مجلة متحف أوسلو الوطني. وقد نشرت المادة العلمية لهذه الترجمة منذ عدة سنوات على شكل كتاب (رواية تاريخية) قام بتأليفه الكاتب الأمريكي مايكل كريشتون (مؤلف روايات معروفة مثل «جوراسك بارك» و«Disclosure») بعنوان «Eaters of the Dead» حيث اكتفى الكاتب بذكر اسم ابن فضلان والباحث الرئيسي دولوس في سياق مقدمة الكتاب فقط. وقد قام الكاتب السوري حسن م. يوسف بترجمة الكتاب من الإنجليزية ودمج الفقرات العربية في النص كما هي بلغة ابن فضلان».

في جميع الاستشهادات يغيب عمل د. غيبة تماماً، أو لا يعرفه أحد من المعلقين، بناءً على الإشاعة التي أطلقها حسن م. يوسف، وربما تغييبه المقصود لعمل مواطنه ومعاصره. التخليط والإشاعة مزدوجة هنا.

حول مشكلة وصول ابن فضلان إلى أسكندنافيا

يجد الحماس مصادره في الترويج للثقافية العربية الجريحة التي عليها، حسب بعض الوعي السائد، أن تكون سبّاقة في كل حقل ورائدة في كل مجال. يتوجّب على الريادة العربية- الإسلامية أن تكون، حسب هذا الوعي، حاضرة بأي ثمن حتى لو كان تلفيقاً تاريخياً. تغيب الموضوعية ويُصاب الكثيرون انطلاقاً من أيديولوجيا الريادة بالغيبوبة. هل وصل ابن فضلان إلى الأرض الإسكندنافية أم لم يصل؟ هذا ما لا برهان عليه حتى اللحظة، بل أن التنازُع حاضراليوم في تأويل الرحلة بين الروس والأسكندنافيين والأتراك بل البلغار المعاصرين، حتى أن الطبعتين الروسيتين لعامي 1939 و1956 قد حذفتا كلمة «بلغار» من الترجمتين خشية أن تفهم أنها جمهورية بلغاريا الحالية[24]. كلٌّ من الروس والأسكندنافيين

(23) أميرة كشغري : دراما رمضانية تستحق المشاهدة، الوطن يوم الثلاثاء 18 سبتمبر 2007م العدد (2545).

(24) يذكر الدكتور عمر محمود شعار: «تسمية (بلغار) أو (بولغار) تضفي على هذه المسألة تشويشا إضافيا لدى هؤلاء المهتمين، فهم يخلطون بين إمارة (بلغار) الغربية التي كانت تقع في منطقة البلقان واعتنقت المسيحية رسميا في عام 863م وعلى أساسها تشكلت دولة بلغاريا الراهنة وبين إمارة (بلغار) الشرقية – الشمالية التي كانت تقع في حوض نهر الفولغا واعتنقت الإسلام رسميا في القرن العاشر الميلادي على أثر زيارة أحمد بن فضلان إلى هذه المنطقة التي تقع عليها حاليا جمهورية تتارستان الحالية وعاصمتها قازان. ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن إمارتي

والأتـراك يقرأون تاريخهم فيمـا كتبه ابن فضلان انطلاقـاً من سرديـات قومية سـليمة أو قومانية. ترجمة طوغان لبعض المفردات أثارت الحسّاسيات لدى الـروس انطلاقاً دوماً من قراءتين تتمسـكان بتلك السرديات المحلية الكبرى التأسيسية. الطبعة الإنكليزيـة لعام 1939 حذفت مـا ترجمه الروس بالـكبشـاك[25] Kipchak وعـادت إلى مفردة ابن فضلان «الصقالبة» بدلاً من «السلافيين»، و«المَلِك» بـدلاً من القيـصر rast اللتين اسـتخدمتا بطريقة مشوَّشة في الطبعة الأكاديمية الروسية عام 1939 تحت إشراف كراتشوفسـكي على مـا يقول باحث معـاصر، يمـضي نفسـه إلى القول: «هذا الشـاهد يسـمح لنا أن نذكر بأن (صقالبة) بالعربية تعني الـ (الصقـا الأبيـض White Saka) = العصفور الأبيـض، والكلمة الأخيرة هي معادل لمعنى المفردة كبشاك (Kipchak التي تعني بالتركية الـ (صاق الأبيـض White Saka) = العصفـور الأبيـض، وكليهمـا يتابع تقليداً بدأ مـع هيرودوت القائل أن الفرس يطلقون على الصقيثيين (أو السكوذيين)[26] Scythians بالصقا Saka = طائر من العصافير. وهذا ما يسـمح بالتذكير أنه في العصر الوسيط وفي منتصـف الطريق على الفولغا كانـت توجد مدينة سقسـين[27] (Saksin = Saqsin [= صقصـين])

(بلغـار) الغربيـة والشرقيـة الشـمالية تشـكلتا بنتيجـة تفكك دولـة (بلغار) الكبرى التي كانـت تمدّ حدودها من سـواحل بحـر قزوين وحوض نهـر الفولغـا في الشرق إلى منطقـة البلقان في الغرب وذلك على أثر زحف قبائل الخزر من أواسـط جنـوب أسـيا إلى منطقة جنـوب شرق أوروبا (القفقـاس والمناطق المتاخمة المحيطة بالبحر الأسـود) في النصف الأول من القرن السـابع الميـلادي ، ويوجد إجماع بـين علمـاء الانتروبولوجيا عـلى أن قبائل البلغـار والخزر تنتمي عرقيا إلى الشـعوب الناطقة باللغة التركية» (الاسلام والمسـيحية في التاريـخ الـروسي) موقـع البوابـة الإعلامية التحليلية، الروسية، على النيت بتاريخ 13-11-2008.

(25) الـكبشـاك Kipchak: شـعب تركـي قديـم، هـو القبجـاق أو القفجاق. ووجدتهـا خفجاق في كتاب «طبائع الحيوان» لشرف الزمان طاهر المروزي.

(26) سـكوذيون (/sɪðɪən‹/, وأيضـاً /sɪθɪən‹/) أو /Scyths/’sɪθs)]; مـن اليونانيـة: Σκύθης) هم عشـائر حربية تتألف من خليط من المغول والأوربيين، جبابرة متوحّشـون ملتحون، يقيمـون في عربات ، ويبقون نسـائهم في عزلة شـديدة، ويركبون الخيـل البرية عارية، يحاربون ليعيشـوا ، ويعيشـون ليحاربـوا ويشربون دماء أعاديهم، ويتخذون جلود رؤوس هؤلاء الأعداء قطائل لهم. أضعفوا أشـور بغاراتهـم الدائمة عليهـا، واجتاحوا غرب آسـيا (حـوالي عـام 610-630 ق.م) وأخـذوا يدمرون في طريقهـم كل شيء ويقتلـون كل إنسـان، وتقدموا إلى مدن دلتا النيل نفسـها، ثم فشـا فيهم وباء غريب مجهول قضى عـلى عدد كبير منهم، وغلبهم آخـر الأمر الميديون، وردوهم عـلى أعقابهم إلى مسـاكنهم في الشـمال. هم شـعب متنقل ينحدر من أصول إيرانية هاجر من وسـط آسيا إلى جنوبي روسـيا في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، وتمركز فيما تعرف اليوم بشـبه جزيرة القرم (اوكرانيـا حالياً). تمكن السـكوذيون من تأسيس إمبراطورية غنية وقوية استمرت لقرون عديـدة قبل أن يخضعوا للسـارماتيين بين القرنين الرابـع قبل الميلاد حتـى القرن الثاني الميـلادي. معظم ما نعرفه اليوم عن تاريخ السـكوذيين يأتي من الروايات التي دونهـا المؤرخ اليوناني القديـم هيرودوتس، والذي كان قد زار بلادهـم. وقد نشرت تلك السـجلات بعد دراسـتها من قبل علماء الأنتروبولوجيا (علم الإنسـان) الروس. كما كتب عنهم أيضاً المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس ووصفهم بأنهم شـعب ماجـوج. كان السـكوذيين يثـيرون إعجاب وخـوف جيرانهـم لخفة حركتهـم ولبسـالتهم في الحروب والمعـارك، خصوصـاً لمهارتهم بالفروسـية حيث كانوا من أوائل الشعوب الذين تفننوا بركوب الخيل (عن «المعرفة»).

(27) كانـت مدينة سقسـين من المراكـز التجارية الهامة في بـلاد الخـزر، وهي ملتقـى القوافل القادمة من روسـيا وأرمينيـة وجرجان وبـلاد الصقالبة. والمدينـة معروفة في المصـادر التاريخيـة والجغرافية الإسـلامية. جاء في تاريخ ابن الأثير: «كانوا نحو أربعة آلاف رجل فساروا إلى سقسين عائديـن إلى ملكهـم جنكزخـان». وفي غـيره مـن المراجع: «وعرف الشـيخ بين التتار بألغ شيخ، يعني الشيخ الكبير، وبذلـك كان يعرفـه هولاكو، وقد بعث إليـه بركة بن توشي بن جنكزخان من سقسـين رسولا ليأخذ له العهد بالإسلام، وكان أخوه باتوا كافرا ظلوما قد اسـتولى على بلاد سقسين وبلغار وصقلاب وقفجاق إلى الدربند».

وتُدعى أيضا سقسين – بلغار التي لعلها النواة الأولى لمدينة كبشاك- كشلاك[28]«Kipchak kishlak». وأظن مفردة كبشاك هي التركية القبجاق أو القفجاق أو خفجاق: قوم من الاقوام التركية التي سكنت في براري أوكرانيا الحالية منذ مطلع القرن الحادي عشر الميلادي. وتتفرع من الأوغوز وهم الـ (قومان). إن قبائل البلغار والخزر الواردة في الرحلة تنتمي عرقياً إلى الشعوب الناطقة باللغة التركية[29] .

إن نمط السجال هذا بين الباحثين الروس والأتراك والبلغار المعاصرين بشأن مفردة «الصقالبة» وحدها يقدّم دليلاً على الطبيعة الإشكالية في تأويل تاريخ الشعوب انطلاقاً من رحلة سفارية مثل رحلة ابن فضلان.

لقد اعتبر وصف الرحّالة ابن فضلان لتجّار الروسية على نهر أتل = الفولغا وصفاً ضارباً في القِدَم للفايكنغ. بالنسبة للعديد من الباحثين الروس المعاصرين هناك تردُّد في قبول الأمر، ففي تعريفه برحلة ابن فضلان لا يشير كراتشوفسكي إلى السويديين ولا إلى الفايكنغ: «فالرحالة يقدّم لنا صورة للظروف السياسية في العالم الاسلامي والعلاقات بين بلاد الإسلام والبلاد المتاخمة لها في آسيا الوسطى والأصقاع النائية التي كانت تمثل أطراف العالم المتمدن آنذاك مثل حوض الفولغا. وتحفل الرسالة بمادة إثنوغرافية قيمة جداً ومتنوعة بصورة فريدة وهي تمس عدداً من القبائل التركية البدوية القاطنة آسيا الوسطى وعدداً من الشعوب التي كانت تلعب آنذاك دوراً أساسيا في تاريخ أوربا الشرقية كالبلغار والروس والخزر..».

أطلق ابن فضلان اسم الروسية على السكان الذين إلتقاهم قرب نهر الفولغا. ثمة شبه اتفاق غربي أن ابن فضلان لا يعني بالروسية الأعراق والقوميات السلافية، بل سكان البلدان الإسكندنافية، والسويديين منهم خاصة، وتحديداً سويديي القبائل المعروفه باسم (Svearerna) التي قطنت الإقليم الأوسط – الشرقي من السويد، المعروف بـ (Svealand)، ومنها كلمة السويد. يعتقد العامري أن: «سفينة القراصنة، الذين التقاهم ابن فضلان في مدينة أتل عاصمة ملك البلغار الواقعة على مقربة من ضفاف نهر أتل (الفولغا)، في التواء قرب مدينة قازان، وهو ينحدر جنوباً نحو بحر قزوين، كانت تشبه إلى حد بعيد بتصميمها وشراعها سفينة الأهوار في جنوب العراق المسماة بالمهيلة». ليس هناك، في ظننا، وصف لقراصنةٍ في الرحلة بل تجّار مدجّجين بالسلاح كما يقتضي العرف يومذاك: «ورأيت الروسية وقد وافوا في تجارتهم ونزلوا على نهر إتل» يقول ابن فضلان.

لنفترض، ببساطة، أن ابن فضلان قد سمع كلمة «روس» ولم يخترعها، وأنها كانت شائعة قبل العام 922م. مَنْ مِن الشعوب تُغطي الكلمة بالضبط في زمنه؟ إن الأصل الاشتقاقي لكلمة (روس) الذي قد يشرح استخدام ابن فضلان لها، لا اتفاق عليه. حسب النظرية النورماندية المقبولة في الغرب الأوربي فالكلمة «روس» قد تبناها السلافيون انطلاقاً من الجذر الشمالي -roðr، roþs-(roths)،

أو مباشرة من الفلندية Ruotsi. هذا الجذر له علاقة بالفعل الإنكليزي يجذف بمجذاف wor ولعله استخدم لأن الفارانجيين (Varangians أو المفردة البديلة الروس، وسنرى أن اسم الروس مُنح للفاكينغ) كانون يجذفون غالباً للصعود إلى مجاري المياه الأوربية. تعطي النظرية الأخرى المضادة أصلاً سلافياً مباشراً لكلمة روس، وهي مقبولة لدى العلماء ذوي الفكر القومي الروسي.

(28)الكشلاك فرع من الأتراك. والمقصود هنا اسم مدينة.

(29)«أثبتت الدراسات التاريخية الحديثة المعتمدة على التنقيبات الأثرية أن البلغار ينتمون إلى مجموعة الشعوب التركية وأن الصقالبة ينتمون إلى مجموعة الشعوب السلافية، وهذه الحقيقة تتطابق مع ما ورد في أغلب مؤلفات المؤرخين والجغرافيين العرب المسلمين، الذين ميزوا بشكل واضح بين البلغار والصقالبة» عن الدكتور عمر محمود شعار.

من أكبر المناهضين للنظرية النورماندية هو المؤرخ الـروسي بوريـس رايباكـوف Boris Rybakov (1908-2001). ألحـت المدرسـة التاريخيـة السـوفياتية وقتـاً طويـلاً عـلى أن الـروس كانوا سلافيين رغم إن قرابة الأسلاف الاسكندنافيين من الروس صار أمرًا متفقاً عليه. وفي النظرية المضادة أن أصول المفردة تأتي:

إما مـن القبائـل الإيرانيـة القاطنـة في جنوب أوكرانيـا ورومانيا (من الفارسـية روخس rokhs التي تعني ضوء، أبيض). أو من أحد أنهار أوكرانيا الروس Ros أو الروسنا Rusna قرب كييف. وهذه الأسماء مشـتقة من مفردة سلافية مفترضة تشير الى المـاء ومجـراه وجنية المـاء. أو أنهـا قادمة من اشـتقاقات أخرى لا مجال لذكرها تتعلق بالصهبة والريف والجلافة تبعدهـا عن أي أصل نورماندي شمالي.

لكن أحد أقدم المصـادر المكتوبة المؤرخة بعام 839م تشـير، في حوليات السيرة الملكية الإفرنجية بيرتينياني Royal Frankish chronicle Annales Bertiniani إلى الشـعب المسـمى روس على شكل رهـوس Rhos بوصفهـم قبيلة جرمانية سـميت بالسـويد من طرف السـلطات الفرنجية. وحسب «سـيرة روس كييـف الأولى» المنجزة حـوالي العام 1113م فإن الروس هـم مجموعة من الفرانجيين أي رجال الشـمال الذين عُرفوا في أسكندنافيا أولاً إلى الشمال الشرقي من أوربا، ثم إلى الجنوب حيث أنشأوا دولة كييف في العصور الوسطى.

أن كلمة الفارانجيين = الروس والأخير هو الاسم الممنـوح أيضاً للفايكنغ المنطلقـين باتجاه الشرق. الفارانجيين كانـوا من التجار والبحـارة المقاتلين المتنقلـين الدانماركيـين، والسـويديون خاصـة، الذيـن اتجهوا شرقاً انطلاقاً من أسـكندنافيا. وقد اكتظت بهم الشـبكة النهرية التي ستكون روسيا. خلال القرنين التاسـع والعاشر الميلاديين ازدهرت ثقافة الفاكينغ في أسكندنافيا كلها بفضل التجارة والقرصنة وحركة الاسـتيطان نحو الشرق (أي في البلطيق وروسيا والبحر الأسود).

وإذن هنـاك مفردتـان تصفـان الفاكينـغ الموجودين شرق بلدهـم الأصـلي همـا: «روس» المنحـدرة من الفلندية بمعنى يحـذف بمجذاف. تسـتخدم روس بالتـالي حصريـاً للاشـارة الى الفايكنغ المسـتقرين في روسيا. ثمة فرضية أخرى يقدّمهـا (Thomsen وVernardsky) تقـترح أن الاسكندنافيين استعاروا المفردة من قبيلة Alains Ruxs.. أمـا سـوديرلنغ Söderling فيقرّب أصل الكلمة من القوط الذين أصلهم من السويد والذين وصلـوا حتى البحر الأسـود نحـو القـرن الثالث الميلادي. السلافيون يمكن أن يكونوا أطلقوا عليهم روس أي «الناس الصهب»، بعدئذ يمكن أن تكون المفردة قد شـملت مجموع الشعوب الإسكندنافية. المفردة الثانية هي الفارانجيين Vaeringr المنحدرة من لغة إسـكندنافية من القرون الوسـطى وتعني (رهـن) أو (قسـم) واتسـاعاً (الرجـل التابـع). ستُستخدم المفردة للإشارة إلى الروس الذين صاروا سـلافاً، مرتزقة أو تجاراً إسـكندنافيين مستقرين حديثاً. يُشـار إلى الفارانجيين في التواريخ الروسية الأولى بصفتهـم القادمـين من وراء بحـر البلطيق نحو القرن التاسـع الميـلادي، مدعوين من طرف القبائل السـلافية والفلندية لكي يحلّوا السـلام في المنطقـة. إن دور الفارانجيـين في تأسـيس الدولة الروسـية وإمارة كييف كان موضوعاً سجالياً بين مؤرخي القرن التاسع عشر.

إن نظريـة تبني السـلافيين لكلمـة روس التي أطلقـت عليهم، مـداوَرَةً، تبرز هنا بقـوة، وهي لا تسـاعد في حل المشـكلة التي يطلقها ابن فضلان. كمـا أن فرضيـة السـلافيين الذيـن أطلقـوا عـلى القوطيين ومجموع الشعوب الشمالية اسم الروس تعقد الأمر قليلاً.

مـا الـذي كان مقصـوداً بالـروس في زمن ابن فضلان، القـرن العاشر الميـلادي؟ في أوربا القرن التاسـع حتى القـرن العـاشر كانـت كلمة روس مسـتخدمة: روزي Ruzi، روزيـا أو روزاري لكن

في غالــب الحالات روجي Rugi، اســم قبيلة قديمة جرمانيــة ذات قرابة مع القوط. وفي القرن الحادي عــشر، كانت الكلمة الســائدة في التقاليــد اللاتينية روسيا Ruscia التي نعرفها.

إن مســار متن الرحلة الموجود لا يبرهن وصول ابن فضلان إلى البلدان الإســكندنافية المعروفة على الخارطــة الجغرافية. لقد وصل إلى نهــر الفولغا، والتقى هناك بتجّارٍ من شعبٍ أسماه الروس. وهذا ليــس بالضرورة من الشــعوب الأســكندنافية على وجه التخصيص. إن الفايكنغ المســتقرين حصرياً في روســيا قد صاروا، نفــترض الآن من جديد وفق تأويلنــا للرحالــة، خليطاً مــن الثقافــة الجرمانية والســلافية، لعلها أقرب للســلافية. فلو كان الأمر متعلقاً بشعب آخر فلماذا لم يجد ابن فضلان اسماً آخر ليطلقه عليه ســوى الروسية الشائعة في زمنه لوصف بلاد روسيا وإنْ بتعقيدات كثيرة؟ صحيح أن ثقافة الفاكينغ خلال القرنين التاســع والعاشر الميلاديين، زمن ابن فضــلان، كانت قد ازدهرت في أســكندنافيا كلها بفضل التجــارة والقرصنة لكن أيضا بفضل حركة الاســتيطان نحو الشرق، أي في حوض البلطيق وروســيا وســواحل البحر الأسود. لو كانت كلمة الفايكنــغ أو الــ Vaeringr متداوَلة لذكرهــا لنا ابــن فضلان حتى لو أخطــأ في نطقها (وللعلم فإن أول إشــارة مكتوبة عن وجود شــعب ســويدي ترقــى لتاســيت eticaT عــام 89م). في تصورنــا ثمة حــل جدّ ممكن: لقد صــار الفايكنغ من شــعب روسيا، أي سلافيين بكل بساطة بسبب حركة الاستيطان. يمكن أن يقال العكس أيضاً من دون أن تنجــرح الفكرة: صار الســلافيون فايكنغ أي روســاً، أي تأثروا بالكثــير أو القليل من عوائد الشــماليين وتقاليدهم، بسبب الاســتقرار الطويل جنب جــيران قادمــين إليهم مــن الغــرب. إن هذا الاندماج بين شعبين متمازجي الدماء ومتجاورين يــبرّر ذلك تمامــاً. كلا الفرضيتين اللتين نقترحهما مستلهمة من النظريات المقدمة لشرح مفردة روس ورديفتهــا الفايكنغ أعــلاه. لقــد رأى ابن فضلان شعباً خليطاً لعل الفايكنغ طبقة من طبقاته، دون أن يصعد أبداً، حســب مســار الرحلــة، إلى العالم الإســكندنافي. في العالــم العربي والإســلامي هناك العديــد مــن الأمثلة المشــابهة عن اندماج شــعوب قادمــة مــن أماكن أخــرى بالثقافــة العربية دون نسيانها لأصولها الأولى مثل الأرمن والشركس: لقد صار الفايكنغ سلافيين في الغالب الأعم، مثلما صار الشركس عرباً.

من هو يا ترى بير فراوس-دولوس Per Fraus-Dolos؟

في جميع التعليقات يرد ذكر البروفسور الخارق للعادة بير فراوس-دولــوس، دون أن يتحقق أحد منه ومن وجوده، ســوى قلة قليلــة مثل لطف الله قــاري ود. أحمد إيبــش وهمام عبد اللــه الحارثي الــذي يتنبــه لذلك مــن جهــة، ومن جهــة أخرى، ينقــد مقدمة نشرة الســويدي- ارتياد الآفاق لعدم إشارتها إلى الشــكوك التي تحيط به. وفي الحقيقة فــلا أحد كان أكيداً متيقنــاً لحظة نشر الطبعة من وجود الرجل، مثلما لا يُعْرَف شــئٌ يقينيّ عنه. غير أن طبعــة (ارتياد الآفاق) إلمحت إلى أن ما كتبه بير فراوس دولوس قد يكون مغامرات عجيبة غريبة: «من هنا تبدأ الالتباسات كلها في عمل الدكتور غيبة. فهل الفصــول الثلاثة الأولي في عمــل كرايتون هي تلــك المترجمة عن مخطوط مشــهد؟ لا نجد جواباً، رغــم أن ظاهر الكلام يوحي بذلك. وإذا كان الحال كذلــك فلا بأس عليه وعلينــا، فنحن ثانية في صلب عمــل ابن فضلان الذي نعرف. أمــا إذا كان العمل التجميعي، وهو عصب الفصول الأخرى، الذي قام به الباحث النرويجي بير فراوس دولوس هو تلكم المغامــراتُ العجيبةُ الغريبةُ التــي لا تمتُّ إلي روح مخطوطة مشهد بصلة فإن شكاً كبيراً يحوم حول مصــادره». هذه العبارة قرأهــا لطف الله بطريقةٍ خاصــة في مقالته في (الفيصل). لــم نكن متأكدين البتة بل شــكّاكين في حقيقــة الرجل، وتطلب الأمر تقصيــاً موضوعياً. نحن نعــرف الآن فقط حقيقة

بـير فراوس دولوس عبر وثيقة وصلتنا من جامعة أوسـلو تبعاً لطلبنا بشـأن وجود أسـتاذ جامعي يحمل الاسـم أعلاه من المشـتغلين فيها بين الأعوام 0591-7591 حصريـاً. وهو طلب وصل لجامعة أوسـلو في النرويج منا عن طريـق صديقنا هادي الحسـيني، وقـد أجابـت الجامعة عليه بالرسـالة التالية ترجمتها:

«نؤيد أن البرفسـور (بير فـراوس دولس) غير موجود في سجلاتنا للأعوام بين 1950 - 1957.

التوقيع: مونيكا ليهوس يوهانسـن، مسـؤولة قسم الاستعلامات، جامعة أوسلو».

وختم الجامعة المؤرخ بشـهر مـارس 7002. ألسـنا أمام فضيحة أكاديمية عربية بكل ما للكلمة مـن معنـى؟ الاسـم مختلـق تمامـاً ومشـتق من اللاتينية كمـا خمّن بعض المعلقـين على الأنترنيت (مثل د. أحمد ايبش).

إن الربـة فـراوس Fraus الرومانيـة هي ربة الخيانـة والخـداع، وهي ابنـة أوركـوس Orcus ونوكس Nox. . ويجري تقديمها على هيئة شـابة بذنـب أفعى يخفي تشـوهاتها. معادلهـا الذكري اليوناني هو الرب دولوس Dolos تجسيد الاحتيال والحيلة أيضاً.

في الميثيولوجيـا اليونانيـة أبتـه Apaté هـي ربة يونانيـة صغرى، ابنة نيكس Nyx وتجسـيد للتضليـل والغـدر والتدليـس (مفـردة التدليـس الفرنسـية fraude لها قرابة اشتقاقية مع فراوس Fraus) وخيبة الأمل والخداع وقلة الاستقامة. ابته لهـا صلة مع الربة فـراوس Fraus في الميثيولوجيا الرومانية.

وضـع كرايتون اسـم الربـة الرومانيـة الدالة على الخديعـة Fraus جوار بديلهـا الرب الذكري اليونانيّ Dolos، مبتدئاً بحرف الجر Per المتشابه كثيراً مع طريقة تصويت اسـم العلم بيير في لغات شـمال أوربا. ولو شـئنا تقديم ترجمـة افتراضية للاسم فسـيكون معناه «من أجل الخديعة»، وذلك لكي تكتمل لعبتـه الروائية التـي تتضمن الخيال وحده، خديعة الخيال.

لقـد توصلنـا إذن تقريباً إلى آخـر خيوط لعبة كرايتـون: البروفسـور بـير فراوس-دولـوس هو خدعة كبرى.

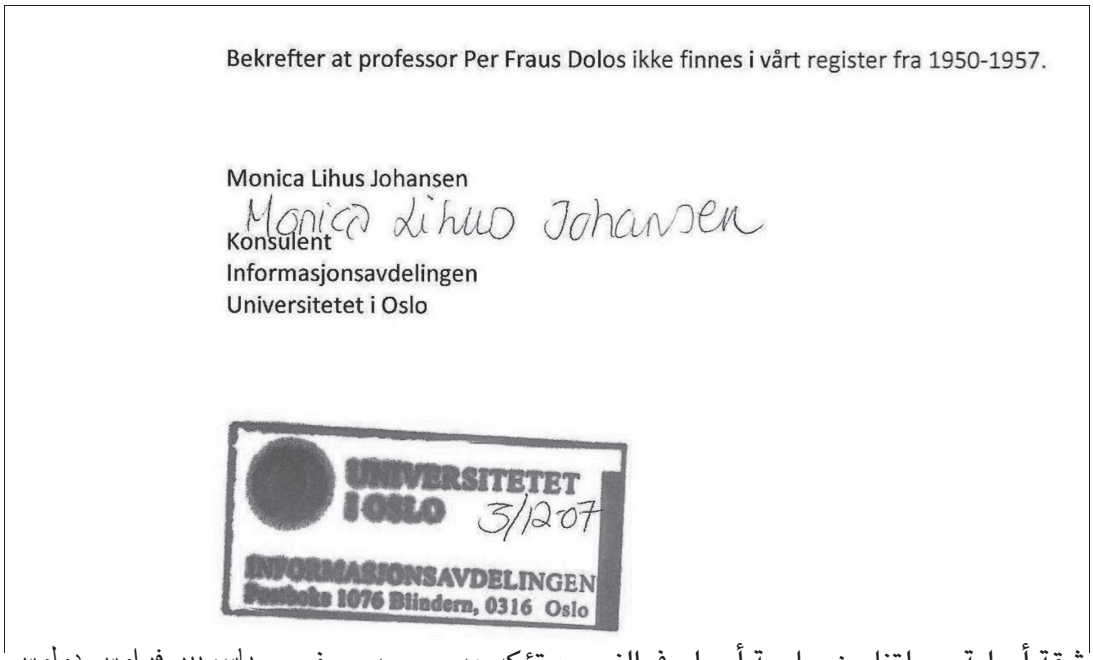
Bekrefter at professor Per Fraus Dolos ikke finnes i vårt register fra 1950-1957.

Monica Lihus Johansen
Monica Lihus Johansen
Konsulent
Informasjonsavdelingen
Universitetet i Oslo

UNIVERSITETET I OSLO 3/1207
INFORMASJONSAVDELINGEN
Postboks 1076 Blindern, 0316 Oslo

وثيقة أصلية وصلتنا من جامعة أوسلو في النرويج تؤكد عدم وجود بروفسور باسم بير فراوس-دولوس.

مناقشة أخرى لمقدمة رواية كرايتون وأصل المقدمة بلغتها الأصلية

ما الفائدة من تقديم المقدمة الكاملة التي كتبها الروائي الأمريكي لروايته «أكلة الأموات» بلغتها الأصلية؟ إنها شاهد ودليل على الألاعيب الروائية الإضافية التي ذهبت في ثقافتنا العربية مذهب الحقيقة التاريخية. ليس كرايتون بدعاً في تاريخ الآداب الأوربية. في القرن الثامن عشر زعم مؤلف رواية «قلعة أوترانتو The Castle of Otranto Walpole هوراس والبول Horace (7171 - 1797) في تقديمه لها أنها ترجمة لأحدى المخطوطات الإيطالية، وتعهد لقرائه أنه سيعيد طباعة المخطوطة الإيطالية الأصلية إن حالف الرواية نصيب من النجاح. وبعد أن حازت روايته نجاحاً عاد واعتذر لقرائه في الطبعة الثانية منها. كذلك فعل الشاعر الفرنسي بيير لويس (1870-1925) عندما نشر سنة 1895 ما أسماه ترجمة أمينة لقصائد غير منشورة ألفتها امرأة تدعى بيليتيس، شاعرة يونانية من القرن السادس قبل الميلاد زاعماً أن قصائدها اكتشفت على جدران قبر في جزيرة قبرص من طرف غوستاف هايم، لكي يقع الترحاب بالنصوص من قبل أخصائيي التراث اليوناني الفرنسيين بصفتها اكتشافاً كبيراً.

كرايتون يهتدي بالألاعيب والمسارات هذه نفسها. وهنا بعضها الآخر:

مخطوطات وهمية:

يقول إن: «هناك مقتطفات أخرى قد اكتشفت في روسيا عام 1817وطبعت في ألمانيا من طرف أكاديمية سانت بطبرسبورغ عام 1823. هذه المواد تتضمن بعض المقاطع المنشورة سابقاً من طرف جي. أل. راسموسن J. L. Rasmussen عام 1814. راسموسن كان يعمل انطلاقاً من مخطوطة وجدها في كوبنهاغن ضائعة من حينها وذات مصادر مشكوك بها».

إنه يمزج مزجاً مدوِّخاً بين مخطوطة رحلة ابن فضلان ومخطوطات كتاب ياقوت الحموي غير الضائعة من جهة أخرى. نتوقف فحسب أمام راسموسن ونقول إن كرايتن لم يجد مخطوطة لرحلة ابن فضلان في كوبنهاكن كما يوحي كلامه، بل لعله عرف مخطوطة كتاب ياقوت الحموي الموجودة في كوبنهاكن التي ترجم راسموسن مقاطع ابن فضلان منها، وشتان بين الأمرين. سننقل تعليق أحد المتخصصين: «استخدمت مخطوطة ياقوت في كوبنهاكن كقاعدة لترجمة راسموسن، وهي من مجلدين، لكن حسب فران ثمة الكثير من الحذف فيها»[30].

سفير إنكليزي مختلق:

يقول كرايتون أيضاً: «عام 1878 اكتشفتْ مخطوطتان في مجموعة خاصة عتيقة للسير جون أمرسون Sir John Emerson، السفير البريطاني في القسطنطينية».

لا يوجد سفير بريطاني في أسطنبول بهذا الاسم. عام 1878 كان السفير لدى الباب العالي هو السير لايار Sir A. H. Layard (من عام 1877 حتى عام 1880) وقبله شغل المنصب السير هنري أليوت موري-كينيموند (من عام 1867 حتى العام 1877). وفي قائمة سفراء بريطانيا في القسطنطينية منذ عام 1583 وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى لا يوجد اسم جون أمرسن المخترَع [31]. جون وأمرسون اسما علم إنكليزيان شائعان لا غير، مثل محمد وأحمد لدينا.

مقطعان من كتاب «هفت أقليم» للرازي:

يتحدث كرايتون عن أمين الرازي بغموض

(30)Copenhagen manuscript of Yakut. The manuscript was used as a base for the Rasmussen translation. It has two volumes, but per Fren, it has a lot of omissions.

(31)انظر:

http://en.wikipedia.org/wiki/Ambassadors_from_the_United_Kingdom_to_the_Ottoman_Empire

خالطـاً الحقائـق بالأباطيل. أمين أحمـد رازي بن خواجه مـيرزا أحمد (ت 1010هـــ) مؤلف كتاب «هفت أقليم = الأقاليم السبعة» يوجد بالفعل. وهو من الري وقام برحلة إلى الهند في زمن السلطان أكبر وفي عام 1593م أنجز معجمه «الأقاليم السـبعة» بالفارسية. لكن ماذا يقول كرايتون عنه؟ إنه يذكر التـالي: «المخطوطة الثانية لأمين الرازي المؤرخ لها تقريبـاً ما بين الأعـوام (1585-1595م) مكتوبة باللاتينية، ووفق مؤلفها فهي مترَجمة مباشرة من نـص ابن فضلان العربي». عمـل الرازي لم يكتب مباشرة باللاتينية بل بالفارسية، وهو لا يترجم كل رحلة ابن فضلان، إنما بعض المقاطع منها

هناك فقرتان في كتـاب الجغرافي الفارسي أمين أحمـد الـرازي (ت 1010 هـــ) لا يتضمنهـا متن المخطوطة المطبوعة، ويُفترض أنه من أصلها. نحن نترجمهما من الإنكليزية:

1- «بـدلا من الذهب يسـتخدم الروسـية جلد السـمور. لا يوجـد مكيال معـروف في البلاد: فهم يشـترون ويبيعـون بمكيال منفـر. وهم يفضلون كثيراً لحـم الخنزير والعديد منهـم ممن ينتحلون زيّ الإسلام يفتقدونه كثيراً»[32] .

لعل هذه الفقرة، لو صَحّت، تقدم دليلاً إضافياً على عدم وصول ابن فضلان للبلدان الإسـكندنافية واقترابه من خليط طبيعي من شـعب واحد مكوَّن تاريخياً من شـعوب متجاوِرَة أُطلـق عليها يومها الـروس. فـإن أمـر دخول بعـض «الروسـية» في الإسـلام متداوَل لدى مؤرخين وجغرافيين آخرين. فلـدى شرف الزمـان طاهـر المـروزي (طبائـع الحيوان) المكتوب حوالي عام 1120م يرِدُ:

«وأما الروسـية فهم يسكنون جزيرة في البحر، ومسـيرة الجزيـرة ثلاثـة أيـام في مثلهـا. وفيهـا مشـاجر وغيـاض، وحواليها بحـيرة. وهم كثيرو العـدد، ويرون المعاش والكسـب في السـيف. وإذا مـات منهم رجل لـه بنات وبنون، دفعـوا ماله إلى البنات وأفردوا البنين بالسيف، ويقولون: إن أباكم كان يكسب المال بالسيف فاقتدوا به وأخلفوه فيه. وكان نشـؤهم على ذلـك إلى أن تنصروا في شـهور سـنة ثلثمائة؟ فلما دخلوا في النصرانية أغمد الدين سـيوفهم وانسـد دونهم باب الكسـب وعاد عليهم بالضرر والإفلاس وضاقت المعيشة عليهم، فرغبوا في الإسـلام ليباح لهـم الغزو والجهاد وينتعشـوا بالعَود الى بعض ما كانوا عليه، فوجهوا رُسـلا إلى صاحب خوارزم وهم أربعة نفر من أقرباء ملكهم فان لهم ملكاً قائماً بذاته مسـتقلاً بنفسـه ويُلقب ملكهـم بـ(ولادمير) كما يلقـب ملك الترك بخاقان وملك بلغار بطلطو – ببلطوار – فوردت رسـلهم خوارزم وأدّوا الرسـالة فسرّ بها خوارزمشاه حيث رغبوا في الإسـلام فأنفـذ إليهم مـن علمهم شرائع الإسلام فأسلموا. وهم أناس أقوياء أشداء يسافرون رَجّالـة إلى المواضـع النازحـة للغزو. ويسـافرون أيضاً في السـفن في بحر الخزر ويغصبون المراكب ويسـلبون الأموال ويسـافرون إلى قسطنطينية في بحر بُنطس والسلاسـل في خليجها ولقد سـافروا مـرة في بحر الخـزر واسـتولوا على بردعـة زمناً. وبسـالتهم ونجدتهم معروفة حتى أن واحداً منهم يـوازي عدة من جميـع الأمم ولـو كان لهم دواب وكانوا فرساناً لاشتدّ بلاؤهم على الناس».

ويكاد وصف المروزي للروسية يُطابق بالأحرى شعباً إسـكندنافياً يشتغل بالقرصنة ويسكن شبه جزيرة قرب بحر الشـمال. ما يفسـد هذا التطابُق هـو تسـميته لملكهـم بـــ (ولادمـير) = فلاديمير Vladimir، الكلمـة ذات الأصل السـلافي[33] . يظن مينورسـكي أن مـن بـين المصـادر التي اسـتقى منهـا المروزي معلوماته كتاب «المسـالك والممالك»

(32) I. In place of gold the Rus use sable skins. No standard measure is known in the land; they buy and sell by dry measure. They are very fond of pork and many of them who have assumed the garb of Muslimism miss it very much.

(33) الاسـم فلاديمير مشـتق من اللغة السـلافية القديمة ويعني حرفياً «هيمنة السلام»: فولودي volodi ومير mir باللغة الروسية. نقول كأنه: عبد السلام.

للجيهاني والذي استقى بعض معلوماته من أحمد بـن فضلان، وكان صديقاً لابن فضلان ويشـير إلى لقائـه به في بخارى في بدايـة رحلته [34] . ونجد أن بعـض الاسـماء والمعلومات التـي وردت في كتاب المروزي عن الترك متشـابهة مع ما ورد في رسـالة ابن فضلان، مثل حديثهما عن قبائل الغز، وعن أن ملـك الصقالبة يدعى يلطوار. ترد البلغار لدى ابن فضلان بينما ترد لدى المروزي البلكار، وترد أيضا تسـمية البجناك لدى المـروزي، ومثلهـا لدى ابن فضلان الذي يصفهم بقوله «ثم صرنا بعد ذلك إلى البجناك، وإذا هم نزول على ماء شـبيه بالبحر غير جار، وإذا هم سمر شديدو السمرة، وإذا هم محلقو اللحـى، فقراء، خـلاف الغزية». ويذكـر المروزي الروسـية بالطبع، ويذكرهم ابن فضلان أيضاً. ما يُفسد هذا التطابق مع شعب إسكندنافي هو دخول بعض الروسـية في الإسـلام. الأمر الـذي يعني أن المقصود بالروسـية غالباً هم سكان روسيا لأننا لا نعرف شـعباً إسكندنافياً اهتدى بعضه للإسلام في تلك اللحظة من التاريخ. لن ننس أن شعب روسيا لا يسـكن بعيـداً عن بحـر الشـمال، وإن المروزي وغـيره يقـوم بخلطهم بغيرهم من الشـعوب (هذا الخليط والامتزاج الطبيعي الموصوف). بحر الخزر المذكور هو بحر قزوين (mer Caspienne)، وبحر بنطس هو البحر الأسود. يستحق تاريخ اهتدائهم للمسـيحية أن يكون درسـاً جديداً في معرفة فيما إذا تعلق الأمر بشعب روسيا أم بشعب إسكندنافي. لم يتكلم ابن فضلان عن مسـلمين لدى الروس كما يفعل المروزي لأن المسـيحية نفسـها كانت حديثة العهد في روسيا حيث اهتدى (فلادمير أمير كييف) للمسـيحية الشرقيـة، الأرثوذوكسـية عـام 988م فقـط أي قبل 66 عاما مـن زيارة ابن فضلان عام 922م. في زمن المروزي كانت المسيحية قد استتبت والعلاقة مع العالم الإسلامي كانت أكثر تعقيداً. إن تاريخ المروزي المشـير إلى أن الـروس تنصروا «في شهور سنة ثلثمائة؟»- هكذا في نص المخطوطة-، شبه دقيق لأن عام 300 للهجرة يُطابق سنة 913 الميلاديـة. وإذن فـإن المـروزي يتكلم عن شـعب روسـيا الذي نعرف اليوم، ولعل ابن فضلان يفعل الأمر نفسه.

2- «الروس مضيافون كبار. شـعورهم جميعاً حمر، وهم رجال ضخام بأجساد بيض. نساء هذه البـلاد يمتلكـن صناديق مصنوعة، وفقـا لحالهن وظروفهـن، مـن الذهـب أو الفضـة أو الخشـب. منـذ الطفولة يربطنها عـلى أثدائهن لكي لا تصير ضخمـة. كل رجل يضع على عنق زوجته طوقاً على كلّ ألف دينار من ثروته» [35] .

هذه الفقرة اختصـار وإضافة لفقرتين في متن رحلـة ابن فضـلان، الأول: «ورأيت الروسـية وقد وافـوا في تجارتهـم، ونزلوا على «نهر إتـل» فلم أرَ أتـمّ أبداناً منهم كأنهم النخل، شـقر حمر»، ولهم يضيف رازي صفة حسـن الضيافـة. والثاني هو: «وكل امـرأة منهـم فعلى ثديها حُقّة مشـدودة إما مـن حديد وإمـا من فضة، وإما مـن نحاس، وإما مـن ذهب، على قدر مال زوجهـا ومقداره. وفي كل حُقّة حلقةٌ فيها سكين مشـدودة على الثدي أيضاً.

(34) يقـول مينورسـكي: «واعتقد واثقـا ان ابن فضلان حافظ على صلته بالجيهاني ، فهو راعيه ، وكان ابن فضلان يطلعـه على تجربتـه في رحلته الى بلاد البلغـار، وهي التي وصـل فيها الى بلاد الفايكنغ عن طريق نهر الفولغا، وربما اطلعه على ذلك بالمكاتبة الشـخصية او شفاها، وقد وجدت تلك المعلومات التي اطلعه عليها طريقها الى النسخ المتأخرة من كتاب الجيهاني ومنه انتقلت الى كتابات المروزي، والتي تبدو وكانها صدى ابـن فضلان». من ترجمة مقدمته التي قام بها د. مؤيد عبد السـتار، جريـدة (الاتحاد) البغدادية، بتاريخ 15 أفريل 2006.

(35) II. The Rus are a great host, all of them red haired; they are big men with white bodies. The women of this land have boxes made, according to their circumstances and means, out of gold, silver, and wood. From childhood they bind these to their breasts so that their breasts will not grow larger. Each man puts a chain around his wife›s neck for each thousand dinars of his wealth.

وفي أعناقهــن أطواق من ذهب وفضــة، لأن الرجل إذا ملــك عــشرة آلاف درهم صــاغ لامرأتــه طوقاً، وأن ملَــكَ عشرين ألفاً صاغ لها طوقين، وكذلك كل عــشرة آلاف يزدادها طوقاً لامرأتــه. فربما كان في عنق الواحدة منهن الأطواق الكثيرة».

بشــأن هاتين الفقرتــين يُذكر أن أمــين الرازي يُترجــم بعــض ملاحظــات ابــن فضلان ويســعى لاستنباط تفسير شخصي لها مثل كلام ابن فضلان بشأن حُقق الصدر، الذي سيصير مُسْتخدَماً، وفق الــرازي، « لتحجيم الصدر» بــدلاً عن كونه زخرفاً بسيطاً. وهذه الحلي، وفق باحث بلغاري، مصنوعة من تــرس الســلحفاة التــي تصاغ منهــا دبابيس الزينة في ملابس نساء الشمال.

استطراد عن دخول الإسلام في روسيا

إن دخول الإسلام إلى شرق أوربا وروسيا يسلّط الكثــير مــن الضــوء على رحلــة ابن فضــلان، وقد يُصحِّح أوهــام القائلين بوصوله إلى إســكندنافيا. يــسرد المتخصص د. عمــر محمود شــعار تاريخ دخول الإســلام في روسيا ويذكر أن الإسلام «انتشر في المناطق الداخلة حالياً في أراضي روسيا الاتحادية قبــل المســيحية عــبر طريقــين، الأول عــن طريق القفقاس وذلك في عصر الفتوحات الاسلامية حيث خاض العرب المسلمون منذ منتصف القرن السابع وحتــى منتصف القــرن الثامــن الميلاديين حروب عنيفة ومتواصلة مع خاقانية الخزر انتشر الاسلام خلالهــا [...] . والثاني عن طريق خطوط التجارة الشمالية الممتدة من أواسط اسيا إلى أوروبا الشرقية وكانت مدينة اتيل عاصمة الخاقانية الخزرية التي كانت عند مصب نهر الفولغا في بحر قزوين إحدى محطاتهــا التجارية الرئيســية بالإضافة إلى إمارة البلغار الشرقية الشمالية التي كانت تقع في أواسط حوض نهر الفولغا، الذي كان يسمى في ذلك الوقت نهــر (أتيل) وكان يشــكل بحــد ذاته ممــراً مائياً تجاريــاً أساســياً في العلاقة بين الشرق الأســيوي والغــرب الأوروبــي، فعنــد مصبه في بحــر قزوين كانــت تحط المراكب النهريــة التجارية الواردة من أقاصي شمال غرب أوروبا وتعود محملة بالبضائع الشرقية، ومع ازدهار الحضارة العربية الاســلامية انتــشر الاســلام في وســط الشــعوب القاطنــة على سواحل حوض نهر الفولغا (أتيل) وتؤكد على ذلك التنقيبات الأثرية، حيث تم العثور في أغلب المناطق المطلــة عــلى حوضه وفي حوض بحــر البلطيق على أعداد كبيرة من الكنوز من النقود العربية الاسلامية تعود إلى القرون التاســع والعــاشر والحادي عشر الميلادية. ويسود اعتقاد خاطئ لدى البعض مفاده أن الاســلام انتشر في حــوض نهــر الفولغا على يد أحمد بــن فضلان في بداية القرن العاشر الميلادي ، بينما تؤكد الدراسات التاريخية والتنقيبات الأثرية على الاســلام انتشر في هــذه المنطقة قبل ذلك بكثير [...] في منتصــف القرن الســابع الميلادي وعلى أثر تفــكك دولة البلغــار التركية الكــبرى، التي امتدت حدودهــا من الســواحل الغربية لبحــر قزوين إلى منطقــة البلقان، هاجرت عــدة قبائل بلغارية نحو المنطقة الشــمالية –الشرقية وتمركزت في الحوض الأوســط لنهــر الفولغــا (إتــل). وهــذه الحقيقــة التاريخية تؤكدهــا التنقيبات الأثرية التي جرت في المنطقة، حيث أسســت هذه القبائل في هذه المنطقة مملكــة البلغار يترأســها خان، وهــو منصب أدنى من منصب الخاقان (الامبراطــور)، وكانت مملكة البلغــار تابعة لخاقانية الخــزر. في النصف الثاني مــن القرن الثامن الميلادي بدأ الإســلام بالإنتشــار في منطقــة شرق أوروبا [36] [...] أما عملية اعتناق

(36)يســترد شعار هنا قائلاً: «فقد كانت القوافل التجارية تصل إليها من آســيا الوســطى التي توطد فيها الإسلام في تلــك الفترة، فهذه المنطقة كانت مرتبطة منذ أقدم العصور بأحــد خطــوط طريق الحريــر الــذي ينطلق مــن أقاصي آســيا ويمر عبر آســيا الوسطى باتجاه الســواحل الشرقية – الشــمالية لبحر قزويــن ومنها الى حوض نهــر الفولغا، حيث كانــت تتوقف القوافــل التجارية في مملكــة البلغار، وفيها كانــت تحمل البضائع على المراكب النهرية الصقلبية والروسية في مجرى نهر الفولغا بالاتجاه الشمال – الغربي

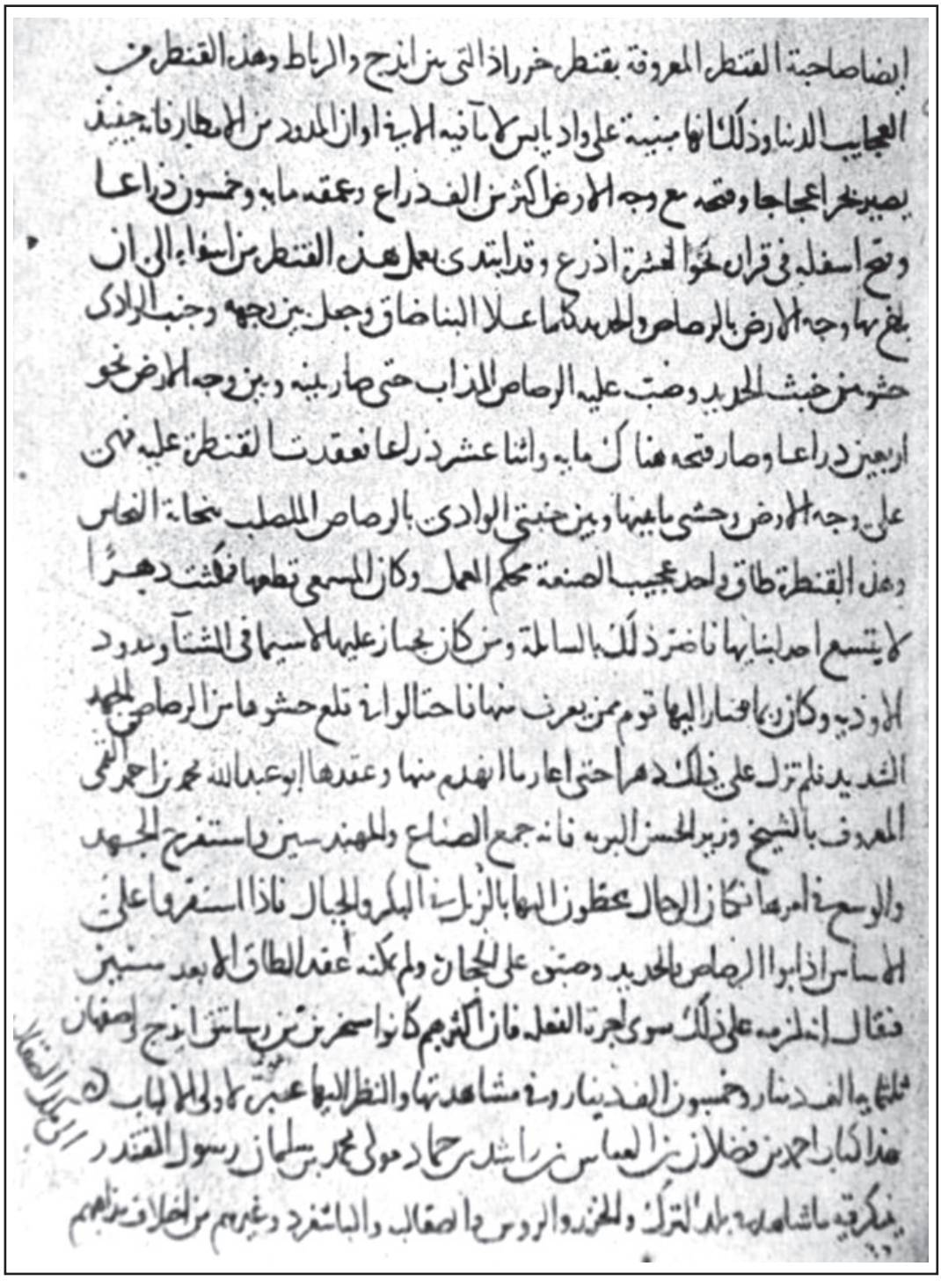

ورقة من مخطوطة مشهد لرحلة ابن فضلان. تبتدا الرحلة في السطرين الأخيرين من الورقة.

المسـيحية رسـميا في إمارة (كييف) الروسية فقد جرت في نهاية القرن العاشر الميلادي، حيث تشـير المصادر التاريخية الروسـية إلى أنه في عام 988م وردت إلى كييف سفارة من ملكة البلغار الإسلامية، حيث عرض المسلمون على الروس الوثنيين اعتناق الديانة الإسـلامية، وتؤكد (رواية الأعوام السالفة) بأن أصول الديانة الإسلامية راقت للأمير فلاديمير وبالأخص السـماح له بأربـع زوجات، وأنه كاد أن يعتنق الإسـلام لولا موضـوع واحد وهـو تحريم الخمر، وأن الأمير اسـتدعى زعيم اليهود في كييف واسـتفسر منه عـن ديانتهم وسـأله فلاديمير عن مكان تواجـد دولتهم، فأجابه بأنه كانت لهم دولة في (أورشـليم) ولكـن الرب غضـب عليهم وحطم دولتهـم، فقال له فلاديمير وأنتم تريدون بأن تحل علينـا اللعنـة الربانيـة!، وعند ذلك قـرر فلاديمير اعتنـاق الديانة المسـيحية التي تحلـل الخمر رغم تحريمها تعدّد الزوجات، وجعلها الديانة الرسمية للدولة الروسية [...] ولكن يبدو أيضاً أن موضوع الخمر لم يكن السبب الوحيد في عدم اعتناق الدولة الروسية للإسلام ، ففي سؤال الأمير فلاديمير لممثل الديانة اليهودية حول مكان تواجد دولتهم نتلمس السبب الحقيقي لاعتناق الروس للديانة المسيحية. فالروس كانوا يمارسون التجارة النهرية والبحرية وكان لديهم أقوى اسطول بحري في أوربا الشرقية، وبـلا شـك كانـوا عـلى معرفـة جيـدة بالأوضاع الجيوبوليتيكيـة في المنطقـة والاتجاهـات الدينية السائدة فيها، وتشير الوثائق التاريخية إلى أن الأمير فلاديمير أرسـل عدة سـفارات إلى مختلف المراكز الحضارية في أوربا وآسـيا، وواحـدة منها وصلت إلى خـوارزم في عام 987م. ففي تلك المرحلة ورغم ازدهار العلوم الحضارية العربية الإسلامية، إلا أن العالم الإسلامي كان يعيش مرحلة التفكك السياسي وصراع الطوائـف والملل، ودولة البلغار الإسـلامية

لتصـل الى بحـر البلطيق عـبر مجرى نهر الدفينـا الغربي ومن بحر البلطيق إلى عموم البلاد الاسـكندنافية وبالعكس .فقد كانت مملكة البُلغار محطة أساسـية للبضائع الواردة مـن أقـاصي المناطـق الأوربيـة الشـمالية – الغربية، ومن البلغـار الى الجنوب عبر مجرى نهـر الفولغا باتجاه مدينة إتل عاصمـة الخاقانية الخزرية عند مصـب نهرالفولغا في بحر قزوين، والى الشرق باتجاه آسـيا الوسـطى عبر الخط الشـمالي لطريـق الحرير. ولذلك كانت مملكـة البلغار على تمـاس واحتكاك دائـم مع الصقالبة (السـلاف) والروس، وتشـير المصـادر التاريخية بأنـه إلى جانب التجـارة كان الشعب البلغاري يمارس زراعة الحبوب وتربية الحيوانات. وتؤكد التنقيبات الأثرية بأن تركيب سـكان مملكة البلغار كان مختلطـا ويتألـف مـن البلغـار (الـترك) والصقالبة (السـلاف) والأغوريـين والفلنديـين وتشـير أيضـاً إلى أن الإسـلام في بداية القرن العاشر الميلادي انتشر بشكل واسع بين سـكان إمارة بلغار». ويقول: «سجل أحمد بن فضلان كافة تفاصيل رحلته في كتاب أطلق عليه تسـمية (رسـالة أحمد بن فضلان رسـول المقتـدر بالله إلى ملك الصقالبة) ، ولكن ليس واضحا السبب الذي دعاه لإطلاق تسمية (ملك الصقالبة) عـلى خان البلغار، يبدو أن سـبب ذلك ينحصر في إختـلاط البلغـار (الترك) مـع الصقالبة (السـلاف) في مملكة البلغار، ويوجد أيضا سبب آخر ينحصر في أن بعض الجغرافيين العرب المسلمين كانوا يطلقون على المكان الذي هاجرت إليه بعض القبائل البلغارية وأسسـوا فيه دولتهم تسـمية (بلاد الصقالبة). فقد أثبتت الدراسـات التاريخية الحديثة المعتمدة عـلى التنقيبات الأثرية أن البلغار ينتمون إلى مجموعة الشـعوب التركيـة وأن الصقالبـة ينتمون إلى مجموعة الشعوب السلافية ، وهذه الحقيقة تتطابق مع ما ورد في أغلب مؤلفات المؤرخين والجغرافيين العرب المسلمين ، الذين ميزوا بشـكل واضح بين البلغـار والصقالبة، وهذا الأمر نشـاهده عنـد ياقوت الحموي الـذي أورد في معجمه الجزء الوارد في رسالة إبن فضلان المتعلق بمهمته الأساسية التـي أوفد لأجلها إلى ملك(الصقالبة) تحت مصطلح بلغار وليـس تحـت مصطلـح صقلب ، ولكـن ياقـوت الحموي يطلـق أيضا على مكان تواجد دولة البلغار تسـمية ((بلاد الصقالبة)) ويقصد بذلك البلاد الشـمالية بلا شك ساهمت عملية اعتناق الإسـلام في تقوية المملكة البلغارية في حوض نهـر الفولغا وتعزيز مكانتهـا في منطقة شرق أوربا ، فعلى أثر زيارة إبن فضلان قام ابن ملك البلغار بزيارة إلى بغداد وحـج إلى مكة المكرمة ، وتعـززت علاقات مملكـة البلغار مع الخلافة العباسـية وبشـكل خاص العلاقـات التجارية والثقافية مع مراكز الحضارة الإسـلامية في آسيا الوسطى وبالدرجـة الأولى مع خـوارزم، مما سـاهم في تقوية موقع مملكة البلغار سياسيا واقتصاديا في شرق أوربا».

المتواجدة في حوض نهر الفولغا لم تتحول، حتى في قمــة ازدهارها في نهاية القرن العاشر الميلادي، إلى كيان سياسي ضخم واسع الهيمنة والنفوذ في أوربا الشرقية. ورغم انتشار الإسلام بشكل واسع وسط شــعوب وقبائل المنطقة وفي داخل الدولة الروسية وعاصمتها كييف، إلا أن النخبة الحاكمة الروســية الفارياغيــة التي كانت تعيش على التجارة البحرية كانــت تبحث عن كيان ســياسي ضخم تعتمد عليه سياسيا واقتصاديا وبالأخص في تصريف البضائع وعقد الصفقــات التجارية، وهــذا العامل كان بلا شــك يتوفــر في الدولــة البيزنطية ككيان ســياسي واقتصادي، حيث كانت القســطنطينية واحدة من المراكز التجارية الأساسية في حوض البحر الأبيض المتوســط وعلاقاتهــا التجارية واســعة بين الشرق الأوسط وأوربا وشمال أفريقيا، والروس كانت لهم علاقات تجارية تاريخية مع القسطنطينية...».

تعليقان يفرضان نفســهما بشأن الروس هنا: الأول أن د. شــعار يعاود القول أن النخبة الحاكمة الروسية كانت فارياغية (الفارانجيين Varangians Vaeringr =) أي مــن أصــل إســكندنافي، وهــذا يعــزّز الفرضيات التي قدمناها أعــلاه عن ارتباط كلمــة روس، ذات الأصول اللغوية الإســكندنافية، بشــعب مختلــط أقــرب للثقافة الســلافية مما هو لــشيء آخــر، رغــم ان د. شــعار يفــرّق بحذر بين الصقالبة (السلاف) والروس. أضف لذلك إشارته إلى أن «تركيب ســكان مملكة البلغار كان مختلطاً ويتألف من البلغار (الترك) والصقالبة (الســلاف) والأغوريــين والفلنديــين». إن الســبب الــذي دعى ابــن فضــلان وغــيره إلى إطــلاق كلمــة الصقالبة عــلى البلغار الأتــراك «ينحصر في إختــلاط البلغار (الترك) مع الصقالبة (السلاف) في مملكة البلغار» على ما يشرح المؤلف نفســه، وهــذا يماثل اختلاط الإســكندنافيين مع هؤلاء جميعا في الشمال فصار الجغرافيــون يطلقــون عليهم الــروس. والتعليق الثاني يتعلــق بمدينة أتل ونهر أتــل الواقعين على نهــر الفولغــا. الأولى مدينــة العاصمــة الخاقانية الخزرية التي كانــت تقع عند مصب النهر في بحر قزوين. وعلى سواحل الثاني، النهر، انتشر الاسلام وسط شعوب المنطقة. وصل ابن فضلان في رحلته حتــى هذا الحــد ولم يصعد أبعد مــن ذلك، وهناك رأى «الروسية»: ذاك الخليط الموصوف.

إن التنــازع الذي وصفناه في قــراءة رحلة ابن فضلان بين الباحثين الروس والأتراك والســلافيين المعاصريين والإســكندنافيين يُفــسَّر جزئياً بأن كل طرف منهم يُــؤول هذا الخليــط العرقي والثقافي، في تلك البقعة المختلطة الشــعوب، لصالح افتراض هيمنة ثقافة واحدة عليــه: الثقافة التي ينتمي لها هؤلاء الباحثون الكبار.

جزيرة يونانية لا وجود لها:

يــورد الروائي كرايتون مــا نصه: «عام 1934 عُثــر على نص نهائي في دير في جزيرة أكســيموس Xymos قرب سالونيكا في شمال اليونان».

والجزيرة لا وجود لها في الواقع مرة أخرى. يخترع كرايتــون- وهــو مخرج ســينمائي وسيناريســت أيضاً- اســمها Xymos من التــالي: الحرفين (X) و(y) اللذيــن يــدلان عــلى المجهوليــة كمــا نقــول في العربــي فــلان وعلتان مثــلاً، ثم مــن (MOS) المصطلح التقني الســينمائي في التسجيل الصوتي الــذي يعني لقطة فيلميــة ملتقطة من دون صوت مرافق لها أو من دون صوت إطلاقاً، فهي اختصار للجملــة (Mit out Sound).. ويمكــن للمفردة أن تكون اختصاراً لمصطلحات تقنية أخرى، نرجّح ما ذكرناه من بينها.

كرايتون يســتخدم أيضاً في روايته (الفريســة Prey) 2002 مفردة أكســيموس Xymos اســما لشركة الكترونية.

شبح بير فراوس- دولوس يصرِّح:

لا يكتفي كرايتون باختلاق شخصية البروفسور النرويجــي بير فراوس دولــوس إنما يجعله ينطق بالتصريحــات. يقول الروائــي الأمريكي: «ترجمة

فراوس-دولوس كانت حرفية بالتمام، ففي مقدمة ترجمتــه يلاحــظ فراوس-دولــوس أن: (الترجمة الجميلة في طبيعة اللغات ليست دقيقة، وأن ترجمة مضبوطــة تجد جمالهــا دون مســاعدة). في أثناء تحضيري للنســخة الكاملــة ذات الحواشي لترجمة فراوس-دولوس قمت بعدة تبديلات. حذفتُ بعض المقاطع المكررة المشــار إليها في النص... إلخ». يلي ذلــك تعقيبات أخرى من الروائي بشــأن تعديلاته الأسلوبية الأخرى على عمل فراوس.

فــراوس ينطــق الآن مقترحاً أفكارا بشــأن نظرية الترجمــة. يوغل الروائي بعيداً في اللعبة التي تصير من حينها لعبة خطرة.

مقدمة رواية كرايتون بالأنجليزية

INTRODUCTION

THE IBN FADLAN MANUSCRIPT REPRESENTS THE earliest known eyewitness account of Viking life and society. It is an extraordinary document, describing in vivid detail events which occurred more than a thousand years ago. The manuscript has not, of course, survived intact over that enormous span of time. It has a peculiar history of its own, and one no less remarkable than the text itself.

PROVENANCE OF THE MANUSCRIPT

In June, A.D. 921, the Caliph of Bagdad sent a member of his court, Ahmad Ibn Fadlan, as ambassador to the King of the Bulgars. Ibn Fadlan was gone three years on his journey and never actually accomplished his mission, for along the way he encountered a company of Norsemen and had many adventures among them.

When he finally returned to Bagdad, Ibn Fadlan recorded his experiences in the form of an official report to the court. That original manuscript has long since disappeared, and to reconstruct it we must rely on partial fragments preserved in later sources.

The best-known of these is an Arabic geographical lexicon written by Yakut ibn-Abdallah sometime in the thirteenth century. Yakut includes a dozen verbatim passages from Ibn Fadlan's account, which was then three hundred years old. One must presume Yakut worked from a copy of the original. Nevertheless these few paragraphs have been endlessly translated and retranslated by later scholars.

Another fragment was discovered in Russia in 1817 and was published in German by the St. Petersburg Academy in 1823. This material includes certain passages previously published by J. L. Rasmussen in 1814. Rasmussen worked from a manuscript he found in Copenhagen, since lost, and of dubious origins. There were also Swedish, French, and English translations at this time, but they are all notoriously inaccurate and apparently do not include any new material.

In 1878, two new manuscripts were discovered in the private antiquities collection of Sir John Emerson, the British Ambassador in Constantinople. Sir John was apparently one of those avid collectors whose zeal for acquisition exceeded his interest in the particular item acquired. The manuscripts were found after his death; no one knows where he obtained them, or when.

One is a geography in Arabic by Ahmad Tusi, reliably dated at A.D. 1047. This makes the Tusi manuscript chronologically closer than any other to the original of Ibn

National Museum of Oslo: 1959-1960, but they did not arouse much scholarly interest, perhaps because the journal has a limited circulation.

The Fraus-Dolos translation was absolutely literal; in his own introduction to the material, Fraus-Dolos remarked that «it is in the nature of languages that a pretty translation is not accurate, and an accurate translation finds its own beauty without help.»

In preparing this full and annotated version of the Fraus-Dolos translation, I have made few alterations. I deleted some repetitive passages; these are indicated in the text. I changed paragraph structure, starting each directly quoted speaker with a new paragraph, according to modern convention. I have omitted the diacritical marks on Arabic names. Finally, I have occasionally altered the original syntax, usually by transposing subordinate clauses so that the meaning is more readily grasped.

مراجع عن رحلة ابن فضلان

- Blake, Robert P., and Frye, Richard N., «Notes on the Risala of Ibn Fadlan», Byzantina Metabyzantina, vol. 1: 2 (1949), pp. 7–37.
- Canard, M. “La relation du voyage d’Ibn Fadlân chez les Bulgares de la Volga,” Annales de l’Institut d’Etudes Orientales de l’Université d’Alger (1958): 41–116,
- Canard, Marius, “La relation de la voyage d’Ibn Fadlan chez les Bulgares de la Volga”, in Miscellanea Orientalia, Variorum, 1973, article XI.
- Cook, A. S., “Ibn Fadlān’s Account of Scandinavian Merchants on the Volga,” Journal of English and

Fadlan, which was presumably written around A.D. 924-926. Yet scholars regard the Tusi manuscript as the least trustworthy of all the sources; the text is full of obvious errors and internal inconsistencies, and although it quotes at length from one «Ibn Faqih» who visited the North country, many authorities hesitate to accept this material.

The second manuscript is that of Amin Razi, dating roughly from A.D. 1585-1595. It is written in Latin and according to its author is translated directly from the Arabic text of Ibn Fadlan. The Razi manuscript contains some material about the Oguz Turks, and several passages concerning battles with the mist monsters, not found in other sources.

In 1934, a final text in Medieval Latin was found in the monastery of Xymos, near Thessalonika in northeastern Greece. The Xymos manuscript contains further commentary on Ibn Fadlan’s relations with the Caliph, and his experiences with the creatures of the North country. The author and date of the Xymos manuscript are both uncertain.

The task of collating these many versions and translations, ranging over more than a thousand years, appearing in Arabic, Latin, German, French, Danish, Swedish, and English, is an undertaking of formidable proportions. Only a person of great erudition and energy would attempt it, and in 1951 such a person did. Per Fraus-Dolos, Professor emeritus of Comparative literature at the University of Oslo, Norway, compiled all the known sources and began the massive task of translation which occupied him until his death in 1957. Portions of his new translation were published in the Proceedings of the

- Anderson, Joseph, DESCRIPTION BY AHMED IBN-FOZLAN (AN EYE-WITNESS) OF THE CEREMONIES ATTENDING THE INCREMATION OF THE DEAD BODY OF A NORSE CHIEF, WRITTEN IN THE EARLY PART OF THE TENTH CENTURY. TANSLATED FROM HOLMBOE'S DANISH VERSION OF THE ARABIC ORIGINAL, WITH NOTES ON THE ORIGIN OF CREMATION, AND ITS CONTINUANCE. BY JOSEPH ANDERSON, KEEPER OF THE MUSEUM. in Proceedings of the Society of Antiquaries of Scotland , Edinburgh 1873, Vol ix, Part ii, s 518-31.
- Journal Asiatique, vols. iv. and vi., 1824.
- Kovalevskij, A. P., Kniga Achmeda Ibn-Fadlana o ego putesestvii na Volgu v 921-922 gg, 1956. = Публикация по изданию: Крачковский А.П. Книга Ахмеда Ибн-Фадлана о его путешествии на Волгу в 921-922 гг. Изд. Харьковского Государственного университета, Харьков, 1956, с. 141.
- Kowalska, Maria «Ibn Fadlan's Account of His Journey to the State of the Bulgars», Folia Orientalia, vol. 14 (1972–3), pp. 219-30.
- Kračkovskogo, I. Ju., Putešestvie Ibn-Fadlana na Volgu / perevod i kommentarij pod redakciej Moskva : Nauka, 1939.
- Majmu' fi 'l-gughrafiya: tubi'a bi-'t-taswir 'an makhtut al-Maktaba ar-Radawiya fi Mahhad 5229. Mimma allafahu Ibn-al-Faqih wa-Ibn-Germanic Philology 33 (1923): 54–63 (reprinted in A. R. Lewis, The Islamic World and the West, A.D. 622–1492, New York, 1970),
- Frähn, Christian Martin, Die ältesten arabischen Nachrichten über die Wolga-Bulgaren aus Ibn-Foszlan's Reiseberichte. Saint Petersbourg: Mémoires de L'Académie Impériale des Sciences, VIème série, 1823.
- Frye, Richard N. (editor), Ibn Fadlan's Journey To Russia: A Tenth Century Traveler From Baghdad to the Volga River. Markus Wiener Publishers, 2005.
- Golden, P. B., "Rus," Encyclopedia of Islam, Leiden 1995, vol. 8, pp. 618-29.
- Holmboe, C.A., Ibn-Fozlaȃn, om noriske Begravelsesskikke, fra det Arabiske oversat og med Unmaerk ninger oplyst. 1869.
- Ibn Fadhlan, Ahmad b. al-'Abbas b. Rashid b. Hammad, Reisebericht. Rihlat Ibn Fadlan. Edited and translated into German by Ahmed Zeki Validi Togan. (Deutsche Morgenla¨ndische Gesellschaft, Abhandlungen für die Kunde des Morgendlandes. XXIV, 3.) Leipzig: F. A. Brockhaus, 1939. Reprinted at Frankfurt am Main: Institute for the History of Arabic-Islamic Science, 1994 ("Islamic Geography", vol. 168).
- Ibn Fadlan, Ahmed, Voyages chez les Bulgares de la Volga.French translation by Marius Canard Paris: Sindbad, 1988, reeditied 1999.
- Ibn Fadlan: an Arab Among the Vikings of Russia (from Science and Its Times-Thomson Gale Corp., 2005-2006).

- Simonsen, Jørgen Bæk, Vikingerne ved Volga / Ibn Fadlans rejsebeskrivelse, Højbjerg: Wormianum, 1981.
- Simpson, J., Everyday Life in the Viking Age, London, 1967.
- Smyser, H. M., “Ibn Fadlān’s Account of the Rūs with Some Commentary and Some Allusions to Beowulf,” in J. B. Bessinger and R. P. Creed (eds.), Franciplegius: Medieval and Linguistic Studies in Honor of Francis Peabody Magoun, Jr., New York, 1965, 92–119.
- Stone, Caroline, “Ibn Fadlan and the Midnight Sun”, Saudi Aramco World, March/April 1979, pp. 2-3.
- Studies on the Travel Accounts of Ibn-Fadhlan (1st half 10th century) and Abu Dulaf (1st half 10th century). Collected and reprinted by Fuat Sezgin in collaboration with Mazen Amawi. Frankfurt am Main: Institute for the History of Arabic-Islamic Science, 1994 (“Islamic Geography”, vol. 169).
- Waddy, Charis, ‘A Scandinavian Cremation Ceremony’, in Antiquity, March 1934, pp. 58.

Fadhlan wa Abu Dulaf al-Khazraji. Edited by F. Sezgin et al. Frankfurt am Main: Institute for the History of Arabic-Islamic Science, 1987 (Series “?Uyu¯n at-turath, vol. 43).

- Montgomery, James E., “Ibn Fadhlan and the Rusiyyah”, Journal of Arabic and Islamic Studies vol. 3 (2000), pp. 1-25.
- Netton, Ian Richard (editor), Islamic and Middle Eastern Travellers and Geographers. 4 vols. London/ New York: Routledge, 2007, 1520 pp. Vol. 1: Medieval Geographers and Travelers; vol. 2: The Travels of Ibn Jubayr (AD 1145–1217); vol. 3: The Travels of Ibn Battuta (AD 1304–1368/9 or 1377).
- Rasmussen, “On the Commercial Intercourse of the Arabs and Persians with the Eussians and Scandinavians in the Middle Ages”, in Molbeck’s Athene, 1814.
- Risala: Ibn Fadlan’s Embassy to the King of Volga Bulgaria (nbulgaria, 1999-2003).
- Sanmark, Alexandra, Power and Conversion - a Comparative Study of Christianization in Scandinavia. Ed. Svante Norr 2004.